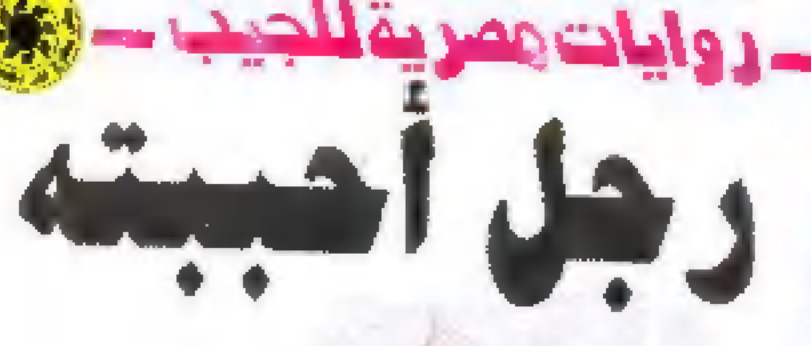

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الاحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - الرســالة الأخيــرة ..

طلبت (رانيا) من سائق سيارة الأجرة أن يتوقف بسيارته ، وغادرتها قائلة :

- من فضلك .. انتظرنى هنا .. لن أتغيب عنك طويلاً .

أجابها السائق قائلاً :

- تحت أمرك يا هانم .

سارت (رانيا) وسط المقابر ، وقد ارتدت ثياب الحداد ، وأحاطت وجهها بإيشارب أسود .. فى حين أخفت عينيها خلف منظار أسود قاتم .

استمرت فى سيرها دقيقتين ، إلى أن توقفت أمام مقبرة بعينها . حيث وضعت فوقها باقة من الزهور كانت تحملها فى يدها .

ثم تراجعت خطوتين إلى الوراء .. ووقفت تقرأ الفاتحة وبعض آيات من القرآن الكريم .

وما إن فرغت من التلاوة ، حتى انسابت عبرتان فوق وجنتيها من خلف المنظار الأسود .

وسرعان ما تخلت عن تماسكها الذى حافظت عليه حتى هذه اللحظة ، ووجدت نفسها وقد أجهشت بالبكاء .

لقد جاهدت لكى تبدو صلبة ومتماسكة .. لكن صلابتها خانتها فى هذه اللحظة ، ولم تقو على مغالبة أحزانها .. فأطلقت لها العنان .

جثت على ركبتيها بجوار المقبرة ، وهى تردد قائلة .. كما لو كانت تحادث من فيها :

ـ سامحينى يا (سامية) لم أستطع أن أقاوم حزنى عليك .. لماذا فعلت ذلك ؟

لماذا ارتكبت هذه المعصية التى لن يرضى عنها ربك ؟ لماذا يا (سامية) تركت نفسك لليأس إلى هذا الحد .. فانتحرت ؟

لقد أحزننى فراقك .. بقدر ما أحزننى أن تموتى بهذه الطريقة . إن أى مخلوق فى هذه الدنيا ، لم يكن يستحق أن تفعلى بنفسك هذه الفعلة النكراء من أجله .. مهما كانت آلامك .. ومهما كانت مشاعرك نحوه .

لقد كنت أعز صديقة لى فى الدنيا .. وكان عليك أن تطلعينى على حقيقة الأمر ، قبل أن تقدمى على ما أقدمت عليه .

ربما كنت أستطيع أن أسدى لك نصيحة ، أو أحول بينك وبين هذا الشيطان الذى قادك إلى الموت .

لكن بماذا يجدى الكلام الآن ؟ لقد انقضى الأمر وفقدتك إلى الأبد .

لم يعد يجدى الآن ، سوى أن أطلب من اللّه (عزّ وجل) ، أن يرحمك ويغفر لك ، ونزعت المنظار الأسود عن عينيها ؛ لتمسح بيدها العبرات .. التى انسابت فوق وجنتيها وهى تحاول أن تعاود السيطرة على انفعالاتها ونحيبها المتقطع .

وما إن استردّت هدوءها وسيطرتها على مشاعرها ، حتى عادت لتتلو بعض آيات من القرآن الكريم .. وهى تلقى نظرة أخيرة على مثوى صديقتها ، قبل أن تغادر المكان .

ثبتت المنظار الأسود فوق عينيها عائدة إلى سيارة الأجرة ، التى كانت تنتظرها ، حيث جلست فى المقعد الخلفى صامتة .

سألها السائق قائلاً :

ـ إلى أين سنذهب الآن يا هانم ؟

أجابته بهدوء مكلل بوقار أحزانها قائلة :

ـ إلى الشاطبى .

انطلق السائق بالسيارة ، مخترقًا شوارع الإسكندرية بعد أن ابتعد عن منطقة المقابر .

كانت السماء صافية .. والبحر يضفى بنسماته العليلة رونقًا خاصًا ، على تلك المدينة الساحرة ، التى بدت فى أزهى صورها .

بينما كانت (رانيا) منصرفة البال عن كل ذلك .. وقد شردت بأفكارها عن كل ما تراه عيناها ، وأخذت تستعيد ذكرياتها القديمة مع (سامية) .

مرّ أمامها شريط طويل ، وكأنه فيلم سينمائى ، ترى من خلاله لمحات من صور طفولتهما وصباهما معًا .

الأحزان التى عاشاها معًا .. والأفراح التى تشاركا فيها .

كانت (سامية) بالفعل ، هى أقرب الصديقات إلى نفسها ، من كل من عرفتهن طوال حياتها .

وحتى بعد أن باعدت بينهما المسافات .. وفرقت بينهما ظروف الحياة ومشاغلها ، ظلت هى الأقرب إلى نفسها دائمًا .

كانا يتلاقيان من آن لآخر .. فأحيانًا كانت تزورها

فى (القاهرة) ، وأحيانًا أخرى كانت تذهب هى إليها فى (الإسكندرية) . كما أن الاتصالات الهاتفية ، والرسائل ، لم تنقطعا بينهما ، إلا فى الفترة الأخيرة التى سبقت وفاتها . ولا تدرى أيهما كان مسئولاً عن ذلك ؟

إلى أن وصلتها هذه الرسالة المشئومة التى أرسلتها (سامية) قبل انتحارها بأسبوع واحد فقط .

كانت رسالة مليئة باليأس والإحباط .. إلى حدٍّ أثار مشاعرها ، وجعلها تشعر بالقلق .

تملك (رانيا) إحساس شديد بالذنب ، لأنها لم تنتبه إلى بوادر الخطر ، التى بدت واضحة فى هذه الرسالة .

فقد كانت (سامية) فى حالة يأس شديد ، وإحباط بالغ ، كما اتضح من رسالتها .. على نحو يوحى بأنها قد تقدم على عمل جنونى من هذا القبيل .. وكان عليها أن تبادر بإنقاذها من نفسها ، وأن تبذل أى جهد للحيلولة بينها وبين ما هى مقدمة عليه .

لكنها اكتفت باتصال هاتفى ، لم تتمكن خلاله من محادثتها ، حيث تبين لها أنها غير موجودة بالمنزل .

ثم أرسلت إليها رسالة قصيرة ، تنطوى على بعض العبارات المشجعة ، والتى أخبرتها فيها بأنها ستحضر إليها قريبًا للتحدث معها ، ومساندتها فى المحنة التى تمر بها .

تلك الرسالة التى لم تتسلمها .. لأنها كانت قد ماتت قبل وصولها .

كان يتعين عليها أن تفعل ما هو أكثر من ذلك ، لمساندة صديقتها فى محنتها . خاصة بعد ما أحستَه من مشاعر اليأس والإحباط ، التى وردت فى رسالتها الأخيرة .

لكن ربما كان عذرها الوحيد ، أنها لم تتخيل أن تؤدى بها هذه المشاعر ، إلى تلك النهاية المفجعة .. وأن يصل الأمر بها إلى حد الإقدام على الانتحار .

استعادت (رانيا) بعض العبارات ، التى وردت فى خطاب صديقتها الأخير ، وقد عادت العبرات تنساب فوق وجنتيها :

« لقد قرّر (نبيل) أن يبعدنى عن حياته إلى الأبد .. ولم تعد هناك وسيلة تجعله يتراجع عن قراره .

ليته لم يكن قاسيًا إلى هذا الحدّ .. فأنا أشعر ببؤس شديد من دونه .

وكنت أتمنى لو أفسح لى صدره أكثر من ذلك ، ومدّ لى يده فى وقت أنا أحوج ما أكون فيه إلى من يفسح لى صدره ، ويمد لى يده ، لينتشلنى من الضياع الذى أتردّى إليه يومًا بعد يوم .

(رانيا) .. إن الحياة فقدت بهجتها أمام عينىّ - ولم تعد لها معنى .

هناك حقيقة مؤكدة ، هى أننى ظلمت نفسى ، قبل أن يظلمنى الآخرون ، وأنه يتعين علىّ ، أن أستعد لمواجهة مصير مظلم ينتظرنى .

ليتك تفهمين .. وتقدرين .. فأنت الصديقة الوحيدة المخلصة لى فى هذه الدنيا .

وأنا لا أفتقد شيئًا فى هذه اللحظة ، قدر افتقادى لوجودك بجوارى » .

أخرجت (رانيا) منديلها من حقيبتها ، لتمسح به تلك العبرات ، وهى تتساءل :

- كيف لم تتنبه إلى مدلول هذه الكلمات ؟ ولماذا لم تسارع بالسفر إلى (الإسكندرية) ، حينما استلمت هذا الخطاب ، لتقف بجوار صديقتها .. تؤازرها ، وتبث روح الثقة والتفاؤل في نفسها .

لقد كتبت لها فى رسالتها ، أنها بحاجة إلى وجودها

بجوارها ، وكان عليها بالفعل أن تكون بجوارها فى هذا الوقت ، لكنها لم تفعل شيئًا ، أكثر من إجراء اتصال هاتفى ، وإرسال رسالة قصيرة . وتعللت بظروف عملها ، وبنزلة البرد التى كانت تمرُ بها أمها فى هذا الوقت ، لكى تجد مبررًا لتأجيل سفرها إليها .. والتخفيف من معاناتها .

لكن لماذا تحمّل نفسها كل هذا الإحساس بالذنب ؟

إنها ليست المسئولة الحقيقية عما انتهت إليه (سامية) .. إن المسئول الحقيقى ، هو ذلك الوغد الذى تخلى عنها .. وأنكر حبه لها .. ودفعها إلى ارتكاب هذه الحماقة التى أودت بها .

إنها لم تلتق به من قبل .. لكنها تشعر بكراهية شديدة نحوه ، وتتمنى لو كان هناك عقاب لأمثاله .

إنه واحدٌ من أولئك الذين لا قلب ولا ضمير لهم .

واحد من أولئك الذين يتسببون بقسوتهم وانعدام ضمائرهم فى عذاب الآخرين وآلامهم .. وأحيانًا موتهم .

لو كانت قاضيًا لأصدرت حكمًا بإعدام أمثاله ، عقابًا على ما اقترفته أيديهم ، التى تعرف كيف تقتل دون أن تتلوَّث بالدماء .

قال لها السائق :

ـ لقد وصلنا إلى الشاطبى يا هانم .

تنبهت من شرودها قائلة :

ـ من فضلك ثالث شارع يمين .

توقف بها السائق أمام المنزل ، حيث نقدته أجره ، وصعدت فى درجات السلم ، وهى فى حالة إعياء شديد .

استقبلتها خالتها بترحاب قائلة :

ـ (رانيا) .. حمدًا لله على سلامتك يا بنيتى .

قالت لها بصوت واهن وهى تحتضنها :

ـ أهلاً بك يا خالتى .

سألتها خالتها قائلة :

ـ متى وصلت إلى (الإسكندرية) ؟

أجابتها قائلة ، وهى تختار أقرب مقعد إليها لتتهالك فوقه :

ـ منذ ساعتين .

قالت لها خالتها بدهشة :

ـ منذ ساعتين ؟ وما الذى جعلك تتأخرين فى الحضور إلى هنا ؟

نزعت (رانيا) الإيشارب عن وجهها قائلة :
- كنت أزور قبر (سامية) .
قالت لها خالتها ، وقد اكتسى وجهها بمسحة من الحزن :
- أعانك الله يا بنيتى .. أعلم أن هذا الخبر كان له وقع ثقيل عليك . فقد كانت أقرب صديقة لك .. وقد أحزننا جميعًا نبأ وفاتها .
صمتت برهة قبل أن تردف قائلة باستنكار هذه المرة :
- لا أدرى ما الذى جعلها ترتكب هذا الجرم فى حق نفسها ؟ إن الانتحار يا بنيتى شىء كريه ، ترفضه جميع الشرائع السماوية .
تنهدت (رانيا) قائلة :
- ليس لأحدنا أن يحاسبها الآن يا خالتى ، بعد أن أصبحت فى يد من يملك الحساب وحده .
قالت لها خالتها سريعًا :
- ونعم بالله يا بنيتى .. لكن يقال إن خطيبها هو الذى دفعها إلى ارتكاب هذه الفعلة ، بعد أن فسخ خطبته لها .. ورفض أن يتزوجها .

وأنا أعرف أنها كانت تحبه كثيرًا .. وأنها قد حزنت كثيرًا لفسخ خطبتها .
قالت (رانيا) بعصبية :
- أرجوك يا خالتى .. لا داعى للاستمرار فى هذا الحديث .. واطلبى لها الرحمة .. فهذا هو ما تحتاج إليه الآن .
- معك حق يا بنيتى .. رحمها الله .. لا بد أنك مرهقة من السفر .. وأنك عانيت كثيرًا ، بسبب زيارتك لقبر صديقتك .. فلا بد أنك قد ذرفت الكثير من العبرات ، وحملت نفسك فوق ما تحتمل .
سأعدّ لك طعامًا حتى تنتهى من تبديل ثيابك .
قالت لها (رانيا) ونبرات الحزن مازالت تسرى فى صوتها :
- لا أشعر بأيّة رغبة فى تناول الطعام .
- كيف تقولين ذلك ؟ إنك تبدين فى حالة يرثى لها .
وفى تلك اللحظة فتح باب الشقة لتدخل (هبة) ابنة خالتها .
وما إن رأتها حتى هللت قائلة :
- (رانيا) .. (رانيا) فى منزلنا ؟ يا لها من مفاجأة سعيدة .

أسرعت لتحتضنها قائلة :

- حمدًا لله على سلامتك يا ابنة خالتى العزيزة .. متى وصلت ؟

قالت لها (رانيا) وهى تجاهد لترسم ابتسامة باهتة على وجهها :

- منذ دقائق قليلة .

- إننى سعيدة للغاية بحضورك .. إنك لا تتصورين كم اشتقت إليك .. فقد مرّ وقت طويل منذ زيارتك الأخيرة لنا .

- ليس طويلاً إلى هذا الحد .. فقد كنت هنا منذ ثلاثة أشهر تقريبًا .

- وهل تعدين ذلك وقتًا قصيرًا ؟ ألم تشتاقى لخالتك ؟ ألم تشتاقى لابنة خالتك الثرثارة ؟

لو لم تأت إلينا اليوم ، لكنت قد وجدتنى فى منزلكم الأسبوع القادم .

- كفاك ثرثرة واصحبينى إلى غرفتك لأبدل ملابسى .

قالت لها (هبة) وهى تجذبها من يدها :

- طبعًا .. هيا بنا .. فأنا أريد أن أتحدث معك فى أمور كثيرة ، إننا سنسهر معًا حتى الصباح .. لا بد أن تبقى معنا وقتًا طويلاً هذه المرة .

تدخلت خالتها فى الحديث قائلة :

- لا تثقلى على ابنة خالتك .. فهى متعبة وبحاجة للراحة .

دعيها ترتح قليلاً ، وتعالى لتساعدينى فى إعداد الغداء .

اصطحبتها ابنة خالتها إلى غرفتها ، حيث أغلقت الباب خلفهما قائلة :

- آسفة يا (رانيا) .. لقد أنسانى اشتياقى إليك .. وسعادتى برؤيتك ، أن ألحظ ملابس الحداد التى ترتدينها .. وأن أقدم لك العزاء فى وفاة (سامية) .

قالت لها (رانيا) وهى تبدل ثيابها فى وجوم :

- هل التقيت بها يا (هبة) خلال الفترة الماضية ؟

هزت (هبة) كتفيها قائلة :

- لم نلتق سوى بضع مرات قليلة منذ أن غادرتنا وعدت إلى (القاهرة) .

سألتها (رانيا) باهتمام قائلة :

- متى كانت آخر مرة قابلتها فيها ؟

- منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا .. وكانت تبدو لى فى حالة طيبة .

- قبل فسخ خطبتها ؟

- تقريبًا .. ولو أنى كنت أعرف أن العلاقة بينهما يشوبها بعض التوتر .

- هل تعرفينه ؟ أعنى ذلك الشخص الذى كانت مرتبطة به ؟

- طبعًا .. فقد كانت (سامية) مخطوبة لرجل أعمال ، معروف وناجح فى (الإسكندرية) وكان الجميع يحسدونها على خطبتها إليه .

ألم تعرفك (سامية) به ؟

- نعم .. لم تسنح لى الفرصة لذلك .. خاصة وأن خطبتهما كانت قصيرة .

إن (نبيل عزمى) كان دائمًا محط إعجاب الكثيرات ، لثرائه ووسامته ، والعديد من فتيات (الإسكندرية) كن يحسدن (سامية) عليه .

قالت (رانيا) بانفعال :

- و(سامية) أيضًا كانت من أجمل فتيات (الإسكندرية) ، ومحط إعجاب الكثيرين ، على نحو يكفى لأن يُحسد ذلك المدعو (نبيل) على ارتباطه بها .

كانت أجمل من أن يواريها التراب ، وهى فى هذه السن الصغيرة ، وفى ريعان شبابها .

قالت لها إبنة خالتها بلهجة حانية ، وهى تحاول أن تهدئ من روعها :

- أعلم أن موتها المفاجئ كان قاسيًا عليك .. لكن لا تنسى أنها هى التى اختارت لنفسها هذه النهاية .

- لا أحد يقدم على الانتحار ، إلا إذا كان قد وصل إلى درجة من اليأس ، تضاءلت أمامها رغبته فى البقاء .. وجعلت الحياة تهون عليه .

- لكن لا يأس من رحمة اللّه ، أيًا كانت أسباب اليأس .

صاحت (رانيا) قائلة :

- وأين رحمة البشر ؟ هل لديك فكرة واضحة ، عن السبب الذى جعل هذا الشخص ، يتخلى عن فتاة أحبته إلى هذه الدرجة ، التى دفعتها إلى الانتحار من أجله ؟

- فى الحقيقة .. ليست لدى فكرة واضحة عن ذلك .. فلم تكن العلاقة بينى وبين (سامية) وطيدة ، على النحو الذى يجعلها تبوح لى بمثل هذه الأمور .

وكنت أظن أنك تعرفين الأسباب الحقيقية .. لما حدث .. خاصة وأنكما كنتما شديدتى الارتباط ببعضكما .

- لم تبح لى (سامية) بهذه الأسباب مطلقًا .. كل ما عرفته هو أنها كانت سعيدة للغاية ، بخطبتها إلى ذلك الشخص .. وأنها أحبته حبًا شديدًا .. وكانت تتعجل الزواج منه ، ثم انقطعت رسائلها واتصالاتها بى لفترة من الوقت . وحالت ظروفى أيضًا دون الاتصال بها وتتبع أخبارها .

إلى أن وصلتنى رسالتها الأخيرة .. كانت العبارات التى وردت بها مشوشة .. وغير واضحة .. لكنها تدل على حالة من اليأس والإحباط الشديد ، وكأنها فقدت بفقد ارتباطها بهذا الشخص ، كل رغبة فى الحياة ، وكل أمل فى المستقبل .

ظننت أن فيما كتبته قدرًا من المبالغة ، خاصة وأنا أعرف أن (سامية) إنسانة حساسة للغاية ، وعاطفية بطبيعتها . كما تصورت أنها قد كتبت رسالتها ، وهى ما زالت تحت تأثير صدمتها العاطفية ، وفشلها فى الارتباط بالشخص الذى أحبته ، وأنها مع

مرور الوقت ستتغلب على هذه الحالة ، وتعود إلى حياتها الطبيعية .

لكن لم يدر بخلدى مطلقًا ، أنها ستقدم على الانتحار ، ولم أتخيل للحظة واحدة .. أن ينتهى الأمر بـ (سامية) على هذا النحو .

- لماذا ؟ ألم تقولى إنها إنسانة حساسة وعاطفية ؟

- أيًا كانت حساسيتها وطبيعتها العاطفية .. فلم أكن أتصور أن تهون عليها حياتها على هذا النحو ، وأن تندفع لمثل هذا التصرف .

- ما حدث قد حدث .. أعرف أنها كانت بمثابة الأخت لك .. لكن لا أريد أن تعذبى نفسك على هذا النحو .. إنك تبدين فى حالة سيئة للغاية :

- أريد أن ألتقى بهذا الشخص .. (نبيل عزمى) .

- لماذا ؟

- لا تسألينى عن شىء .. إنك تقولين إنك تعرفينه .. وأنا لا أريد ، سوى أن ألتقى به ، أو أراه على الأقل .

- وما الذى ستستفيدينه من ذلك ؟

- إن كل ما أفكر فيه الآن ، هو أن أرى ذلك الشخص ، الذى تسبب فى موت (سامية) .

قالت لها (هبة) محذرة :

- إياك أن تفكرى فى أى تصرف أحمق .

- اطمئنى .. لن أرتكب أية حماقة .

وأمسكت بمرفقيها قائلة :

- (هبة) .. هل ستساعديننى فى ذلك ؟

★ ★ ★

٢ - ساحر النساء ..

كانت (رانيا) تبدو متألقة فى ثياب السهرة التى ترتديها ، والتى أبرزت جمالها ، فبدت كعروس فاتنة فى هذا الحفل .. الذى ضم العديد من رجال الأعمال والمستثمرين .

وأحست بشىء من الارتباك ، برغم صلابتها المعهودة .

فهى لم تعتد ارتياد مثل هذه الحفلات ، التى تزخر بالعديد من رجال المال والأعمال .. ويتنافس فيها المدعوون والمدعوات ، فى ارتداء أرقى ما وصلت إليه خطوط الموضة ، والتعطر بأغلى أنواع العطور فى العالم .

لقد كان الثوب الذى ترتديه ، والذى استعارته من ابنة خالتها أنيقًا ، وأبرز مفاتنها وجمالها بشكل واضح .

لكنه بدا متواضعًا للغاية ، بجانب ما رأته فى هذا الحفل من ثياب ، على أجساد هؤلاء السيدات المتأنقات .

لكزتها (هبة) فى جنبها قائلة :

- ماذا بك ؟ لماذا تبدين مرتبكة هكذا ؟

- إننى لم أعتد حضور مثل هذه الحفلات .

ابتسمت (هبة) قائلة :

- لا تغترى كثيرًا بهذه المظاهر الكاذبة التى ترينها .. ولا تجعليها تربكك .

- كل ما هنالك ، أننى لا أميل كثيرًا لحضور الحفلات العامة .

- أما أنا فقد اعتدت ذلك .. إن عملى كصحفية يتطلب ذهابى إلى هذه الحفلات ، وبعض المؤتمرات ، والأماكن السياحية .

- أظن أنه يتعين علىّ أن أحسدك على عملك هذا .

- ليس إلى هذا الحد .. إننى مجرّد صحفية صغيرة .. أغطى بعض الأخبار الاجتماعية البسيطة ، الخاصة بمدينة (الإسكندرية) ، لحساب جريدة محلية . ويكون نصيبى دائمًا ، إحدى هذه الحفلات ، أو الرحلات ، مرة كل شهر على الأكثر .

أما بالنسبة لأولئك العاملين فى الجرائد الكبرى ، والمجلات المعروفة ، فلديهمْ الفرصة لرحلات إلى

(باريس) و(لندن) ، وغيرهما من العواصم العالمية ، للقيام بتغطيات صحفية ، فى أماكن خيالية ، على حساب الجريدة أو المجلة التى يعملون لحسابها ، والتى توفدهم إلى تلك الأماكن .

- لكننى لم أعرف بعد سبب إقامة هذا الحفل .

- لا بد أنك لم تلحظى اللافتة الكبيرة ، الموضوعة فى مدخل القاعة .

- كلا .. لم ألحظها .

- على أية حال .. إنه حفل أقامه محافظ (الإسكندرية) ، لبعض رجال الأعمال والمستثمرين ، من أجل تشجيعهم على إقامة عدد من المشروعات التى تحتاج إليها المدينة .

وهذا الحفل ، ما هو إلا الجانب الاجتماعى من الاتفاق مع هؤلاء الأشخاص ، أما الجانب الاقتصادى والاستثمارى .. فقد تمت مناقشته خلال الأيام الثلاثة الماضية ، بين رجال الأعمال والمحافظة .

- إذن فـ(نبيل عزمى) أحد رجال الأعمال ، الذين سيسهمون فى إقامة مشروعات خاصة بمدينة (الإسكندرية) هنا .

- إن له أكثر من مشروع ناجح بالفعل .

قالت (رانيا) لنفسها وهى تبتسم فى مرارة :

- مسكينة يا (سامية) .. كيف وقعت فى حبائل هذا الرجل ، بمثل هذه السذاجة ؟

أظننت أنه كان يمكن أن يتزوجك ، ويفضلك على العديد من الفتيات الثريات ، اللاتى ينحدرن من أسر عريقة وثرية ؟!

إن شخصًا مثله ، ولديه كل هذه الإمكانيات ، لن يعدم الارتباط بأيّة فتاة يتمناها ، والوصول لأية فتاة يرغبها .

لا بد أنه بهرك بثرائه .. وخلب لبك بوسامته ، التى تتحدث عنها (هبة) .

لكن الحقيقة أنه لم يكن هناك تكافؤ حقيقى بينكما .

كنت بالنسبة له لعبة جميلة سرعان ما ملّها .. بحثًا عن لعبة أخرى تفوقها جمالاً ، وتحقق له المزيد من التسلية الرخيصة ، بالنسبة لشخص مثله .

تنبهت (رانيا) على صوت (هبة) ، وهى تهمس لها قائلة :

- ها هو ذا (نبيل عزمى) قد حضر .

وأشارت لها نحو مدخل القاعة .. حيث أقبل شاب فارع الطول ، وسيم الملامح .. يتميز ببنية رياضية ، وابتسامة ساحرة .

وقد أحاطت به ثلاث فتيات ، يتميزن بجمال صارخ وملفت للأنظار .

كان الشاب شديد الجاذبية ، على نحو أدهش (رانيا) .

ولاحظت عينيه الواسعتين ، ذواتى اللون العسلى اللتين توحيان بذكاء حاد .

فأغمضت عينيها ، وهى تعاود الابتسام فى مرارة قائلة :

- مسكينة حقًا يا (سامية) .. فما أسهل أن يحصل شاب مثل مثله على الدمى التى يريدها .. ثم يتخلى عنها غير آسفًا .

ورأت اثنين من رجال الأعمال ، ينهضان للترحيب به .. مما دعاه إلى الاستئذان من الفتيات الثلاث اللاتى كن يصحبنه .. ليصافح الرجلين ، ووقفت الفتيات تنتظرنه .. لكنه بدا مشغولاً بالحديث مع الرجلين ، على نحو كاد معه أن ينسى وجود الفتيات

الثلاث ، مما دعا إحداهن لأن تذهب إليه ، لتحيط ذراعه بذراعيها فى جرأة غريبة ، وهى تستحثه على إنهاء المناقشة .. ومصاحبتها .

لكنه جذب ذراعه من بين ذراعيها .. وقد بدا كما لو كان يعتذر إليها ببضع كلمات أثارت غضبها .. فعادت إلى زميلتيها اللتين آثرن الانتظار ، فى حين انصرفت هى لتجلس إلى إحدى الموائد .

لم يأبه لأى منهن - فقد بدا أن اهتمامه منصبًا على الحديث الدائر بينه وبين الرجلين ، مما دعاه إلى الانضمام لمائدتهما .

قالت (هبة) ضاحكة وهى ترقبه :

- ها هو ذا قد خيب آمال ثلاث من الحسناوات ، اللاتى كن يمنين أنفسهن بأن يختار إحداهن لمجالسته .

- من المؤكد أنه اعتاد تهافت أمثال هؤلاء الفتيات عليه .

- بالطبع - ولِمَ لا ؟ إنه من أثرياء (الإسكندرية) .. وهو شاب وأعزب.. وكما ترين فإنه يتميز بالجاذبية والوسامة ، على نحو يفوق أولئك الموجودين هنا .

- ولماذا اختار (سامية) بالذات ، من بين هؤلاء الفتيات ، لتكون خطيبته ؟

ابتسمت (هبة) قائلة :

- لكنها لم تكن خطيبته الأولى .. بل الرابعة .

نظرت إليها (رانيا) بدهشة قائلة :

- هل تقصدين أنه خطب من قبل ثلاث فتيات أخريات ؟

- هذه هى المعلومات المتوافرة لدى .

- ولماذا تخلى عن خطبتهن .. كما فعل مع (سامية) ؟

مطت (هبة) شفتيها قائلة :

- الأسباب غير معروفة بالنسبة لى .. لكن أيًا منهن على أية حال ، لم تفكر فى الانتحار مثل صديقتك ، بعد تركه لهن .

نظرت إليها (رانيا) معاتبة ، وقد اكتسى وجهها بملامح الانفعال ، فسارعت (هبة) لتعتذر قائلة :

- آسفة .. لم أقصد أن أجرح مشاعرك .. فأنا أقدر حزنك على صديقتك .. لكننى مازلت غير قادرة على تقبل ما فعلته .

- ولا أنا .. لكننا لا نعلم حقيقة الظروف ، التى أحاطت بها ، فى اللحظة التى أقدمت فيها على هذا الفعل .

وربما لو أمهلت نفسها بعض الوقت للتفكير ، لما أقدمت على ما ارتكبته .

وعادت لتنظر إليه ، وهى تردف قائلة وفى عينيها نظرة غاضبة :

- وها هو ذا المجرم الحقيقى ، يلهو ويمرح ، غير عابئ بما اقترفته يداه .

أظن أنه لم يكلف نفسه حتى عناء إلقاء نظرة على قبرها .

- إن أمثاله لا وقت لديهم لتجرع الأحزان .. فلديه الكثير مما يمكن أن يشغله .

- ولديه من العلاقات والفتيات من يمكنهن أن يلهينه عن فتاة مسكينة مثل (سامية) راحت ضحية حبها له .

وأظن أنه يسخر الآن من فعلتها ، ويصفها بالسذاجة وبالرومانسية الخيالية .. لأنها انتحرت من أجله .

وربما يتباهى من أجل ذلك .

- ربما كان (نبيل عزمى) يعيش حياة لاهية بعض الشىء بحكم ما توافر له من ثراء .. وله أسلوب

خاص فى تعامله مع الآخرين ، لكنى لا أظن أنه بهذه البشاعة التى تصفينه بها - وأعتقد أنك مازلت واقعة تحت تأثير مشاعرك تجاه (سامية) .

قالت لها (رانيا) بانفعال :

- بالطبع .. إننى لا يمكن أن أغفر له ذلك .

- (رانيا) .. إنه لم يطلب منها الانتحار من أجله .

- لكنه تخلى عن حبه لها ، فدفعها لذلك .

- تلك أمور تحدث كثيرًا .. فلم تكن هى أول ولا آخر الفتيات ، اللاتى تفسخ خطبتهن ، أو يهجرهن أحباؤهن ، والكثيرات استطعن أن يتغلبن على أزمات من ذلك النوع ، وعرفن الحب مرة أخرى ، وتزوجن بأشخاص غير الذين ارتبطن بهم ، وعاشوا حياة سعيدة معهن .

قالت (رانيا) وفى عينيها تأثر واضح :

- لقد كانت (سامية) فتاة رقيقة وحساسة .. أشبه بملاك ، إن فتاة مثلها عندما تتعلق بشخص ما - فإنها تتعلق به بكل جوارحها ، ويصبح بالنسبة لها كما لو كان هو الحياة نفسها .

إن هذا الشخص لم ير ذلك الجانب ، من الفتاة

التى ارتبطت به ، أو ربما رآه وتجاهله .. أو استغله لمصلحته .

لا بد أنه جعلها تحبه بجنون .. وهو يعرف جيدًا أنه لن يستمر معها ، ولم يهتم كثيرًا بما يمكن أن يقودها إليه هذا الجنون .

وفى تلك اللحظة ، حضر المحافظ ، حيث استقبله الجميع بالترحيب والتصفيق ، بينما غادر (نبيل) المائدة ، لينضم إلى مائدة أخرى ، جلست عليها إحدى الأسر .. وقد اندمج فى حديث ضاحك ، مع فتاة شقراء تنتمى لهذه الأسرة .

وكانت الفتاة ترنو إليه بنظرات إعجاب واضحة .

قالت (هبة) باسمة :

- ها هو ذا قد تخلى عن رصانة رجال الأعمال ، التى كان يبدو عليها منذ قليل ، فى أثناء محادثته لهذين الرجلين .. ليعود إلى شخصية ساحر النساء ، وينضم إلى إحدى معجباته .

قالت (رانيا) وهى تنظر إليه باشمئزاز :

- من الواضح أنه يعرف كيف ينظم وقته جيدًا .

- والآن وقد رأيته .. أتسمحين لى بأن أمارس عملى .. ثم أعود إليك ؟

ماذا ستفعلين ؟

- سأجرى حديثًا صحفيًا قصيرًا مع المحافظ - واثنين أو ثلاثة من رجال الأعمال الموجودين هنا .

- هل سيكون (نبيل عزمى) أحدهم ؟

- هذا يتوقف على أهمية المشروعات ، التى سيحددها المحافظ ، والأشخاص الذين سيقومون بتنفيذها .

- أتمنى أن يكون (نبيل عزمى) من بينهم ، وأن أصحبك وأنت تجرين هذا الحوار الصحفى معه .

- ولو أنى لا أعرف ما الذى يدور فى رأسك - لكن أظن أنه يمكننى تدبير ذلك .. ما دامت هذه هى رغبتك .

* * *

٢ ـ مشـاعر غاضبـة ..

كان مستغرقًا فى حديث جانبى ، بينه وبين أحد الأشخاص ، حينما اقتربت منه (هبة) ، وبصحبتها (رانيا) قائلة :

ـ أستاذ (نبيل) .. هل تسمح لى بأن آخذ من وقتك بضع دقائق ؟

التفت إليها قائلاً بلا اهتمام :

ـ أية خدمة ؟

ـ إننى صحفية .. أعمل فى جريدة (فنار الإسكندرية) وأود أن أجرى معك حديثًا صحفيًا قصيرًا .

قال لها وفى صوته نبرة متعالية :

ـ إذا كان الأمر لن يستغرق بضع دقائق كما قلت ، فلا مانع .. أما إذا كان سيستغرق أكثر من ذلك .. فأنا أفضل أن نؤجله لما بعد ، لأن لدىَّ أمورًا مهمة تشغلنى الآن .

ـ أؤكد لك أن الأمر لن يزيد على بضع دقائق .

هزّ كتفيه قائلاً :

ـ مادام الأمر كذلك .

ثم التفت إلى محدثه ليستأذنه قائلاً :

ـ معذرة يا (فتحى) بك .

وقبل أن تبدأ (هبة) فى طرح أسئلتها ، حانت منه التفاتة إلى (رانيا) التى كانت تقف إلى جوارها .

ولاحظت (رانيا) أنه يتأملها بنظرات فاحصة وجريئة .

وما لبث أن قال لـ (هبة) دون أن يرفع عينيه عنها :

ـ هل هى زميلتك فى تلك الجريدة ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. إنها ابنة خالتى .

ابتسم لـ (رانيا) قائلاً ، وقد بدا عليه الاهتمام .. هذه المرة :

ـ تشرفنا .. إن لك ابنة خالة جميلة يا آنسة .....

عرفته (هبة) بنفسها قائلة :

ـ (هبة) .

نظر إلى (رانيا) بعينين أحست بهما وكأنهما يحاصرانها قائلاً :

ـ والآنسة ؟

تغلبت (رانيا) على ارتباكها المفاجئ قائلة :
ـ (رانيا) .. وأشكرك على هذه المجاملة الرقيقة .
ـ من قال إننى أجاملك ؟ إنك جميلة بالفعل .. وهذا هو الوصف الذى تستحقينه .
كان من الواضح أن ثراءه ووسامته ، ليسا هما سلاحيه الوحيدين فى الإيقاع بضحاياه .
لكنه كان يمتلك بالإضافة إلى ذلك ، جاذبية من نوع خاص ، تحدث أثرها الفعال فى نفس محدثه ، خلال لحظات معدودات من حديثه معه .
هذا هو ما أحست به (رانيا) وهى تقف أمامه الآن .. وقد وقعت تحت حصار نظراته .
كان بداخلها غضب وانفعال ونقمة عليه ، خشيت أن تعجز عن مداراتها ، لكن سرعان ما اختفى كل ذلك ، ليحل محله ارتباك واضطراب مفاجئ ، حينما التقت به ، ووجدت نفسها فى مواجهة طغيان جاذبيته .
ومرة أخرى همست لنفسها قائلة :
ـ مسكينة يا (سامية) .. لم تكونى ندًا له بأية حال من الأحوال .

همت (هبة) بأن تطرح عليه أسئلتها .. لكنه بادرها قائلا :
ـ لماذا نقف هكذا ؟ دعونا نجلس إلى إحدى الموائد أولاً ، وأشار إلى إحدى الموائد قائلا :
ـ تفضلا .
ثم قادهما إلى المائدة وهو يخطو خلفهما برشاقة .. ويتصرف بطريقة رجل يجيد معاملة النساء .
فسارع بجذب مقعدين ليجلسهما عليهما ، قبل أن يجلس فى مواجهتهما .
ابتسم لهما قائلاً :
ـ والآن أنا تحت أمركما .
سألته (هبة) قائلة :
ـ أستاذ (نبيل) .. إنك من رجال الأعمال المعروفين فى (الإسكندرية) .. ولك شهرة كبيرة فى مجال التصدير والاستيراد .. كما أن لديك عددًا من المشروعات الناجحة هنا ، ألا تفكر فى التوسع فى إقامة المزيد من المشروعات ؟
قال لها مبتسمًا وهو يضع ساقًا فوق ساق :
ـ كلا .. إننى مكتفٍ بنشاطى الحالى .. وبارك الله فيما رزق .

ـ أيعنى هذا أنك لم تعد طموحًا بالقدر الكافى ؟

ـ إن الأمر ليس له علاقة بالطموح .. لكن الحياة ليست عمل ومشروعات وأرباح فقط .. هناك وقت للعمل .. ووقت للاستمتاع بالحياة .. وأنا أسعى إلى التوازن فى هذين المجالين من حياتى .. بعد ما حققته من نجاح فى عملى .

ـ لكن لا يوجد حدود للطموح الشخصى .

ـ أىّ طموح تقصدينه .. الطموح المادى ـ أم الطموح الاجتماعى ؟ أم الطموح الإنسانى ؟ هناك طموحات مختلفة للمرء .

ـ إننى أتكلم عن الطموح بصفة عامة .

ـ بالنسبة للطموح المادى .. فقد وصلت إلى الحد الذى أريده .

ولا أرغب فى أن ألهث وراء المزيد من المال ـ أما الطموح الإنسانى فما زلت أطمح فى الكثير .. وأسعى وراء تحقيقه .

ماذا تقصد بالطموح الإنسانى ؟

ـ أقصد المشروعات الخيرية .. وكل ما يؤدى إلى إسعاد الآخرين وتخفيف آلامهم .

ابتسمت (رانيا) فى سخرية ، وهى تنظر إليه قائلة لنفسها :

ـ يا لك من كاذب ومخادع ! ما الذى تعرفه أنت عن آلام الآخرين وأحزانهم ؟ وكيف يمكن لمثلك أن يشعر بعذابهم ؟ وأى طموح إنسانى هذا الذى تتحدّث عنه ؟

سألته (هبة) قائلة :

ـ هل لديك مشروع محدّد فى هذا الشأن ؟

ـ نعم ـ ولذا أنا هنا .

ـ أيمكننا أن نعرف شيئًا عن هذا المشروع ؟

ـ إننى أنوى إقامة مدينة نموذجية متكاملة المرافق للمسنين .

ـ تقصد دارًا للمسنين ؟

ـ بل مدينة سكنية ، يمكنها استيعاب عدد كبير من المسنين على مستوى (مصر) كلها ، وليس (الإسكندرية) وحدها .

وستكون مجهزة بكل وسائل الراحة ـ من ناحية السكن والطعام ، والعناية الطبية ووسائل الترفيه .

ـ إنه مشروع إنسانى رائع .. ولكن ألا ترى أن تكلفته ستكون كبيرة للغاية ؟

- بالطبع .. لذا فإننى آمل مشاركة رجال الأعمال الموجودين لىَ فى إقامة هذه المدينة ، التى ستقام على مساحة أربعين فدانًا ، فى الصحراء المجاورة لمدينة (الإسكندرية) .

فى الحقيقة ، لا بد أن أنوه بالدور الذى قام به سيادة المحافظ ، فى هذا الشأن .. فقد منحنى قطعة الأرض .. كما وعد بتقديم المساعدة اللازمة ، لمساندة هذا المشروع ، طبعًا فى حدود إمكانيات المحافظة .

- لكن ماذا لو لم تجد المساعدة المطلوبة ، من زملائك من رجال الأعمال ؟

- إذن سأتولى الأمر بنفسى .

- مهما كانت تكلفته ؟

قال لها بنبرة تنم عن الإصرار :

- مهما كانت تكلفته .

- لكن لماذا تتبنى هذا المشروع بالذات ؟

ابتسم لها قائلاً :

- أيحتاج الأمر أن أوضح لك ، لماذا أتبنى مشروعًا كهذا ؟!

ألا يكفى أن يكون لهؤلاء الطاعنين فى السن .. والذين قاسوا وعانوا فى هذه الحياة ، حتى وصلوا إلى هذه المرحلة المتقدمة من العمر ، الحق فى أن يعيشوا حياة كريمة ومريحة ، فى السنوات الأخيرة من عمرهم ، لكى يكون سببًا وهدفًا نسعى لتحقيقه من أجلهم ؟!

حانت منه التفاتة إلى وجه (رانيا) ، فلمح تلك النظرة الساخرة فى عينيها ، بينما قالت له (هبة) :

- اسمح لى أن أحييك على تبنيك لهذا المشروع العظيم .

قال لها دون أن يرفع عينيه عن وجه (رانيا) .. التى لم تحسن مواجهة نظراته هذه المرة :

- أشكرك .. ولو أننى أظن أن ابنة خالتك ، لا توافقك على ذلك .

قالت له (رانيا) بنبرة تهكمية :

- أتريد منى أن أصفق لك ؟

قالت لها (هبة) ؛ وقد أحست بالحرج :

- (رانيا) .. ماذا تقولين ؟

لكنه أشار لها قائلاً :

ـ دعيها تتحدث .. فقد طال انتظارى لسماع صوتها .

ثم وجه حديثه لـ (رانيا) قائلاً :

ـ بالطبع .. أنا لم أقل ما قلته ، فى انتظار أن أنال تصفيقك .

لكن اسمحى لى أن أسألك .. ما الذى جعلك تسخرين من حديثى ؟

هزّت كتفيها باستخفاف قائلة :

ـ أنا لم أسخر من حديثك .

ـ لكن عينيك كانتا تنطقان بذلك .

ـ يبدو أنك تفهم كثيرًا فى لغة العيون .

ـ أظن هذا .

تدخلت (هبة) فى الحديث قائلة .

ـ من المؤكد أن (رانيا) لم تفكر فى السخرية ، من مشروع عظيم كهذا بأيّة حال من الأحوال .

قال لها مبتسمًا :

ـ من المؤكد أن هذا غير صحيح .

ثم أردف قائلاً وهو ينظر إلى (رانيا) :

ـ أليس كذلك ؟

ـ إذا أردت أن أكون صريحة معك ، فإنك محق فى ذلك .

قال لها وعيناه تتفحصان وجهها :

ـ إننى أحترم الصراحة وأقدرها .. لذا فإننى آمل أن توضحى لى سبب استخفافك بما قلته .

قالت (رانيا) :

ـ حسن .. إننى أرى أنك لا تهدف من وراء ما قلته ، إلا اللجوء إلى وسيلة دعائية ، تلفت بها الأنظار إلى رجل الأعمال الكريم ، الذى يتبنى مشروعًا إنسانيًا .

نظرت (هبة) إلى ابنة خالتها ، وقد ازداد إحساسها بالحرج .

بينما قال لها (نبيل) بهدوء :

ـ أهذا هو ما تظنينه فىَّ ؟

ـ نعم .

نهض قائلاً :

ـ إن لك الحق فى أن تظنى ما تشائين .. ولا يوجد ما يضطرنى إلى الدفاع عن نفسى .

ـ هل أغضبك ما قلته ؟

قال لها دون أن يتخلى عن هدوئه :
ـ مطلقًا .. لقد اعتدت على سوء الظن بى .
واستطرد قائلاً :
ـ آسف لأننى مضطر للانصراف .. فلدى بعض الأمور المهمة التى يتعين علىّ إنجازها .
ثم أحنى هامته قبل أن ينصرف قائلاً :
ـ لقد سعدت بلقائكما .
قالت له (هبة) بارتباك :
ـ أستاذ (نبيل) .. إننا لم نكمل حديثنا بعد .
ـ فلترجئ ذلك لما بعد .. أو بالأحرى .. لا داعى لأى حوار صحفى آخر مستقبلاً .. حتى لا تعتقد ابنة خالتك ، أننى أحاول اللجوء إلى وسائل دعائية ، لتعزيز مكانتى .. ولفت الأنظار إلى رجل الأعمال الكريم .
واستدار عائدًا إلى الشخص الذى كان يحادثه ، حيث استأنف حواره معه .
بينما نظرت (هبة) إلى ابنة خالتها فى غضب قائلة :
ـ ما هذا الذى فعلته ؟

هزّت (رانيا) كتفيها باستخفاف قائلة :
ـ لم أفعل شيئًا .. سوى أننى قلت رأيى بصراحة .
ـ لم يطالبك أحد بأن تقولى رأيك .
ـ لكنه طلب منى ذلك أمامك .
ـ لكن صراحتك هذه تجاوزت الحد .
ـ ألم يقل بنفسه إنه ممن يحترمون صراحة الآخرين ؟
ـ لقد تعمدت استفزازه .
ـ هو الذى استفزنى باتخاذه هذا المظهر الإنسانى الكاذب .. وعلى أية حال ، لقد أوضحت له حقيقة رأيى فيه .
ـ وأفسدت لى حديثى الصحفى .
ـ لا أظن أن ما قاله يستحق النشر .
وألقت نظرة عليه فى أثناء محادثته لرفيقه ، وهى تبتسم قائلة :
ـ ومع ذلك فإننى سأحاول إصلاح الأمر .
نظرت إليها (هبة) بفضول قائلة :
ـ حقًا ؟
نهضت (رانيا) لتغادر المائدة ، وهى تتجه نحوه قائلة :
ـ سترين !

كان قد انتهى من حديثه مع الرجل ، واستعد لمغادرة القاعة ، حينما اعترضت طريقه قائلة :

ـ هل تنوى مغادرة الحفل ؟

رمقها بنظرة ثاقبة للحظة قبل أن يقول :

ـ ألديك اعتراض على ذلك ؟

رنت إليه بنظرة ناعسة ، وهى تعبث بخصلات شعرها قائلة بدلال :

ـ كلا .. ولكنى أفضل أن تصحبنى معك .

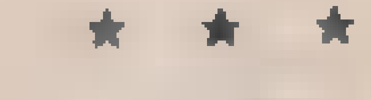

١ ـ فتاة محيّرة ..

نظر إليها بدهشة مصطنعة ، وهو يعقد ذراعيه أمام صدره قائلاً :

ـ لماذا ؟ ألديك رأى آخر فى شخصى ، تريدين إضافته ؟

ـ بل أحاول أن أبحث عن وسيلة مناسبة للاعتذار لك .

ـ هل يعنى هذا ، أنك قد عدلت عن رأيك ؟

ـ إننى لا أعدل عن آرائى بسهولة .. كل ما هنالك أننى أحسست بأننى تحدثت إليك بأسلوب غير لائق .

ـ على أية حال .. إننى لا أهتمّ كثيرًا بالأسلوب ، قدر اهتمامى بالآراء . وما دام رأيك فىّ سيئًا إلى هذا الحدّ ، فلا أظن أننى الرفيق المناسب لك .

ـ هل يعنى هذا أنك ترفض توصيلى فى طريقك ؟

ـ ربما كان طريقانا مختلفين .

قالت له بدلال :

ـ ألا أستحق أن تبدل طريقك من أجلى ؟
ـ لماذا ؟ لقد واجهتنى بصراحة فجة فى شخصى منذ لحظات .
ابتسمت قائلة :
ـ وهأنـذا أحـاول أن أعتـذر لك .. لكن يبدو أنك لست ممن يقدرون صراحة الآخرين كما تدعى .
ـ لم تكن هذه صراحة .. وإنما سـوء ظن .. وقد اعتدت على سـوء ظن الآخرين بـى كما قلت لك .. لكنى لا أشعر بمودة نحوهم بالطبع .
ضحكت قائلة :
ـ لكن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .. أليس كذلك ؟
ابتسم قائلاً :
ـ وماذا عن ابنة خالتك ؟
ـ إنها ستتأخر بعض الوقت .. ثم تعود فى سيارة الجريدة .
ـ حسن .. هيا بنا .
ركبت إلى جواره ، فى اللحظة التى حـاولت إحدى الفتيات اللحاق به ، حيث استوقفته قائلة .

ـ (نبيل) .. إلى أين أنت ذاهب ؟
نظر إليها من نافذة السيارة قائلاً :
ـ لدى بعض الأعمال التى يتعين علىّ إنجازها .
قالت له معترضة ، وهى تلقى نظرة على (رانيا) :
ـ لكنك وعدتنى بأنك ستصحبنى معك .
قال لها بلا مبالاة :
ـ كنت أودّ ذلك .. لكن الظروف لم تسمح لى .
قالت له وهى تحدج (رانيا) بنظرة غاضبة :
ـ وهل سمحت لك فقط باصطحاب هذه الفتاة ؟
قال لها وهو يدير محرك السيارة :
ـ أظن أن لى الحق فى اصطحاب من أشاء .
ثم انطلق بالسيارة دون أن يعيرها اهتمامًا .
سألته (رانيا) وهى تضع ذراعها على مسـند المقعد ، لتسند رأسها بقبضتها قائلة :
ـ هل أنت معتاد على ذلك ؟
سألها قائلاً :
ـ معتاد على ماذا ؟
ـ على أن تخلف وعودك .
ـ أحيانًا أضطر إلى ذلك .

- لكنى لا أحب الرجال الذين لا يفون بوعودهم .

- أرجو ألا يترك هذا انطباعًا سيئًا عنى لديك .. فيكفينى ظنونك السيئة بى ، لكن الظروف تضطر المرء أحيانًا ، تحت ضغط الإلحاح الثقيل ، أن يقدم وعودًا ، من الأفضل له ألا يفى بها .

سألته قائلة :

- لماذا ؟ أظن أن فتاة جميلة كهذه لا تستحق ذلك .

- إن وقتى لا يتسع لكل الجميلات .

- على أية حال .. أنا آسفة إذا كنت قد اعتديت على وقتك الثمين .

ضحك قائلاً :

- إننى لا أقصدك بالطبع .

- لكنى أظن أنك قد أغضبتها .

- إذا أرادت أن تغضب .. فلتغضب .

- إلى هذا الحد لا تهتم بمشاعر الآخرين ؟

- على أية حال ، لا تشغلى تفكيرك كثيرًا بها .. فغدًا أو بعد الغد ، أو ربما الليلة ، ستعاود الاتصال بى .. كأن شيئًا لم يكن .

- هل أنت شديد الثقة هكذا دائمًا بنفسك ؟

ابتسم (نبيل) قائلاً :

- بل لدى دراية كافية بالمرأة .. خاصة إذا كانت من هذا النوع الذى رأيته .

ابتسمت بدورها قائلة :

- أظن أنك تحاول استعراض خبراتك أمامى .

- ألم أقل لك إنك كثيرة الظن ؟

- على أية حال ، إذا كانت ستتسامح فى حقها بعد المعاملة الجافة التى عاملتها بها .. فلك الحق فى أن تتدلل عليها .

التفت إليها قائلاً :

- دعك منها الآن .. وقولى لى .. إلى أين تريديننا أن نذهب ؟

- أظن أننى أخبرتك .. إلى منزل خالتى .

- ما رأيك لو صحبتك فى زيارة قصيرة إلى مكتبى ؟

سألته قائلة :

- لماذا ؟

لكى تريه وتبدى رأيك فيه .

قالت له وعلى وجهها ابتسامة تهكمية :

- فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟!

- الساعة لم تتجاوز العاشرة والنصف بعد .

- وبالطبع .. المكتب خال ، ولا يوجد به موظفون .. فلا يمكن أن يعمل موظفون حتى هذا الوقت .

ابتسم قائلا :

- لماذا ؟ إنه ليس مكتبًا حكوميًا .. والموظفون الذين يعملون فى مكتبى ، يمكنهم أن يستمروا فى العمل حتى هذا الوقت - وبعد هذا الوقت أيضًا - لكن لكى أكون صريحًا معك .. لا يوجد موظفون فى المكتب الآن .

فما رأيك ؟ هل ستأتين معى ؟

- ألا ترى أنك تبالغ فى جرأتك ؟

- لأننى دعوتك لزيارة مكتبى فى هذا الوقت .. لا بد أنك تظنين أنها دعوة غير بريئة .. مازلت تسيئين الظن بى مع أننى لا أهدف من ذلك إلا لأن أجعلك تتعرفين المكان الذى أدير من خلاله عملى .

- ولماذا لا تدعونى إلى منزلك ؟

صمت برهة قبل أن يقول :

- إذا أردت فإننى ......

قاطعته قائلة :

- من فضلك أوقف السيارة .

قال لها ببرود :

- لا داعى للانفعال .. إننى لم أقصد ......

لكنها عادت لمقاطعته قائلة بحزم :

- قلت لك أوقف السيارة .

- كنت أظنك إنسانة متفتحة .

- ترى ما هو مفهوم التفتح بالنسبة لك ؟ أهو أن أرافقك إلى مكتبك الخالى من الموظفين ، أم الذهاب معك إلى منزلك ؟

وعادت لتقول له بإصرار :

- قلت لك .. أوقف السيارة ودعنى أنزل .. وإلا ناديت أول شرطى مرور أراه .

قال لها محاولاً تهدئتها :

- حسن .. حسن .. لا داعى لذلك .. سأوصلك إلى منزل خالتك .. دلينى على الطريق .

وأخذ ينقل بصره ما بين الطريق وبينها ، وهو فى حيرة من أمره .

* * *

٥ - لـــن نلتـــقى ..

عادت (هبة) من الجريدة لتجد (رانيا) جالسة فى غرفتها ، وهى تطالع إحدى المجلات .

وما إن رأتها حتى سألتها قائلة :

- (هبة) .. لماذا لم توقظينى قبل ذهابك للعمل ؟

- لقد اضطررت للذهاب إلى الجريدة فى ساعة مبكرة .. ورأيتك مستغرقة فى النوم .. لذا لم أشأ أن أوقظك .

- بالفعل .. لقد نمت نومًا عميقًا جدًا بالأمس .

- لقد كنت بحاجة إليه .. فمنذ أن جئت إلى (الإسكندرية) ، لم تذق عيناك النوم .. من أثر تفكيرك فى وفاة صديقتك .

وعندما عدت إلى المنزل بالأمس ، لم أجد الفرصة للتحدث إليك ، لأنك كنت فى سبات عميق .

- بمجرّد أن وضعت رأسى على الوسادة ، لم أدر بنفسى .

ولكن هل كنت تريدين التحدث معى فى شىء محدد ؟

قالت لها (هبة) منفعلة :

- نعم .. ما هذا التصرف الذى فعلته بالأمس ؟

- أىّ تصرف ؟

- مغادرتك للحفل هكذا دون أن تخبرينى .. وبلا أيّة مقدمات .

- كنت قد بدأت أشعر بصداع .. وأظن أن ذلك بتأثير احتياجى للنوم .. فرأيت أن أعود إلى المنزل دون إزعاجك ، ودون أن تضطرى لمغادرة الحفل من أجلى .

- فذهبت فى صحبة (نبيل عزمى) .

قالت لها (رانيا) والابتسامة تتراقص على ثغرها :

- لقد وجدته يتأهب لمغادرة الحفل بدوره ، فطلبت منه أن يوصلنى .

- تقصدين أنك وضعت نفسك فى طريقه ؟

- إنه لم يجد أيّة غضاضة فى توصيلى .. وكان لطيفًا للغاية .

تأملتها ابنة خالتها قائلة :

ـ (رانيا) .. أيّة لعبة تريدين أن تلعبيها ؟
ـ ماذا تقصدين بذلك ؟
ـ أعنى ما الذى تريدينه من (نبيل عزمى) ؟
ـ وما الذى يمكن أن أريده منه ؟ لقد تعامل معى بلطف ، فاضطررت أن أتعامل معه بلطف مماثل .
ـ أتريدين أن تقنعينى بذلك ؟ لقد كان بالنسبة لك ذلك الشخص الكريه .. الشرير ، الذى تسبب فى انتحار صديقتك .
والآن أصبح بالنسبة لك شخصًا لطيفًا .. يستحق أن يعامل بلطف !! ما معنى هذا ؟
نهضت (رانيا) قائلة بنبرة جادة :
ـ معناه .. أننى أريد أن أتعرف هذا الرجل عن قرب .
ـ لماذا ؟ ما الذى ستستفيدينه من ذلك ؟
ـ لا تسألى عن أى شىء الآن .
أمسكت (هبة) بذراع ابنة خالتها برفق قائلة :
ـ (رانيا) .. (نبيل عزمى) ليس شخصًا سهلاً .
وقد رأيت بنفسك .. ما الذى انتهت إليه علاقته بـ (سامية) . ومن واجبى أن أحذرك ...

قاطعتها (رانيا) قائلة .
ـ اطمئنى يا (هبة) .. فأنا لست مثل (سامية) .
وأردفت قائلة وهى تهز كتفيها .
ـ كما أننى لست مدلهة فى حبه مثلها .
ـ لقد اتصل بى (نبيل عزمى) فى الجريدة اليوم .
قالت لها بدهشة :
ـ ماذا تقولين ؟
ـ أنا أيضًا فوجئت مثلك ، عندما أخبرونى أن (نبيل عزمى) على الهاتف .. وتساءلت عن سبب اتصاله بى ، فى البداية ظننت أن الأمر يتعلق بالحديث الصحفى ، الذى أجريته معه بالأمس ، لكننى تعجبت عندما وجدته يسألنى عنك .
ـ عنى أنا ؟ ماذا قال لك ؟
ـ سألنى أسئلة غريبة .. مثلاً ما هى حالتك النفسية اليوم ؟ وهل نمت نومًا جيدًا بالأمس أم لا ؟ أشياء من هذا القبيل .
ـ هل هذا هو كل ما قاله لك ؟
ـ كلا .. لقد طلب أن يقابلك .
ـ ابتسمت (رانيا) وهى تتهادى فى خطواتها

داخل الحجرة بخيلاء ، بينما وقفت (هبة) ترقبها ..
ثم استدارت لها قائلة :

ـ لو اتصل بك مرة أخرى ، قولى له إننى لا أقابل أحدًا .

ـ أحيانًا لا أفهمك .

ـ لا داعى لأن تفهمينى الآن .

ـ ليس من السهل بالنسبة لشخص مثل (نبيل عزمى) أن ترفض فتاة مقابلته .

ـ لأنه لم يلتق بهذه الفتاة من قبل .. وها هو ذا قد التقى بها .

ـ لا تنكرى أنك أنت التى تعمدت جذب اهتمامه إليك .. مرة بتوجيه نقد لاذع لـه .. ومـرة أخـرى بملاحقته والتقرب إليه .. والآن تقولين إنك لن تلتقـى به .

قالت (رانيا) بدلال :

ـ من يدرى ؟ ربما أوافق على مقابلته فيما بعد .. لو وجدت لدى الرغبة فى ذلك .

ـ مـادام (نبيل عزمـى) قد وضعك فـى رأسـه ، فهو لن يتنازل عن هذا اللقاء .

قالت (رانيا) بانفعال .

ـ تتحدثين عنه وكأنه ملك يأمر رعاياه ، فيلبون أوامره .

ـ لا أقصد ذلك .. إننى أفضل بالطبع .. أن ينتهى الأمر عـند هذا الحد ؛ بل أشـعر بالأسـف .. لأننـى وافقت على اصطحابك معى ، للقاء هذا الرجل .. وكل ما أردته هو أن أحذرك منه .

قالت (رانيا) بسخرية :

ـ كنت تشيدين بالأمس بمشروعه الإنسانى .

ـ إن (نبيل عزمى) شخصية ذات جوانب متعددة .. وأسوأ ما فيه هو الجانب المتعلق بعلاقاته النسائية .. وغزواته الغرامية .

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ هل تعرفين ؟ لقد كنت أحسد (ساميـة) فـى البداية ، على خطبتها لـ (نبيل عزمى) .. لكن بعد كل ما عرفته عنه ، وجدت نفسى أرثى لها ، فلا أظن أن شخصًا مثله ، يؤمن كثيرًا بالمشاعر العاطفية .

ـ هأنتذى قد أصبحت تؤيديننى فى رأيى فيه .

ـ على أية حـال ، دعينـا لا نشغـل تفكيرنا الآن ،

بأمر هذا المليونير (الدون جوان) .. وهيا بنا لنتناول الغداء ، فأنا جائعة للغاية .

- نعم .. سيكون هذا أفضل كثيرًا .

لكن قبل أن يجلسا إلى مائدة الطعام ، انطلق رنين الهاتف ، وتناولت خالتها السماعة لترد على المتحدث قائلة .

- نعم .. إنها هنا .. سأناديها لك .

وأمسكت بالسماعة لتقدمها إلى (رانيا) قائلة :

- شخص يطلب التحدث إليك ، ويقول إن اسمه (نبيل عزمى) .

نظرت (رانيا) إليها بدهشة قائلة :

- (نبيل عزمى) .

ثم نظرت إلى ابنة خالتها ، التى كانت تبادلها دهشتها .

وتناولت سماعة الهاتف ، وهى تحاول التخلص من وقع المفاجأة ، حيث سمعت صوته يقول لها .

- كيف حالك اليوم يا (رانيا) ؟

قالت له وهى تحاول أن تبدو متماسكة :

- إننى بخير .

قال لها بصوته الهادئ النبرات :

- لقد أردت أن أطمئن عليك .

- أشكرك على أية حال .. ولو أننى علمت أنك قد سألت عنى ، عن طريق ابنة خالتى ، بعد اتصالك بها فى الجريدة .

- لقد وجدت أن سؤالى عنك ، عن طريق ابنة خالتك وحده لا يكفى ، فأردت أن أطمئن عليك بنفسى .

- أشكرك مرة أخرى .. ولو أنى لا أجد أى داع لذلك .. فأنا لم أتعرض لحادثة ، أو أصاب بمرض عضال ، لكى تبذل كل هذا الجهد ، فى سبيل الاطمئنان علىّ .

- ولكنك كنت منفعلة بعض الشىء بالأمس .. ولم تمنحينى الوقت الكافى لتوضيح موقفى .

- موقفك كان واضحًا تمامًا يا أستاذ (نبيل) .. أما بالنسبة لانفعالى بالأمس .. فقد كان انفعالاً مؤقتًا يتعرض له أى شخص ، حينما يجد نفسه إزاء موقف سخيف ، وتصرف غير مهذب ، كالذى حدث بالأمس .

ضحك قائلاً :

- يا له من اختيار دقيق للألفاظ !

سألته قائلة :

ـ كيف عرفت رقم الهاتف هنا ؟

ـ بالنسبة لى ، لا توجد صعوبة فى معرفة أى شىء أريد معرفته .

ـ ولا توجد صعوبة أيضًا فى إحراج الآخرين .

ـ أتظنين أننى سببت لك حرجًا ما ؟

ـ وبماذا تسمى إذن ملاحقتك لى بهذه الاتصالات الهاتفية ، فى المكان الذى تعمل به ابنة خالتى .. وفى منزل خالتى .. دون سبب واضح ، سوى هذا الادعاء الذى لا معنى له ، بأنك تريد الاطمئنان على .

ـ ألم تخبرك ابنة خالتك ، بأننى أرغب فى مقابلتك ؟

ـ نعم .

ـ وما رأيك ؟

أطلقت زفرة قصيرة قائلة .

ـ آسفة .. يا أستاذ (نبيل) .. لا يمكننى مقابلتك .

★ ★ ★

٦ - إننى أكرهك -

غادرت (رانيا) منزل خالتها ، متجهة إلى أحد المحال ، حينما سمعت صوتًا يناديها قائلاً :

ـ آنسة (رانيا) .

ألقت نظرة جانبية ، لتجد (نبيل) وهو يشير لها من داخل سيارته .. قائلاً :

ـ أتسمحين لى أن أوصلك ؟

تجاهلته وأسرعت فى سيرها دون أن ترد عليه .

لكنه زاد من سرعة سيارته ليتقدمها .. ثم أوقف السيارة وغادرها .. ليعترض طريقها قائلاً :

ـ لماذا تعاملينني بهذه الطريقة الجافة ؟

نظرت إليه وعلى وجهها تعبير غاضب قائلة :

ـ ما هذا يا أستاذ (نبيل) ؟ لم أكن أتصور أن رجل أعمال مثلك ، له اسمه ومكانته ، يتصرف على هذا النحو ، كما لو كان أحد المراهقين .

ابتسم لها قائلاً :

- أرأيت إذن ما أوصلتنى إليه ؟

- ماذا تريد منى ؟

سألها قائلا :

- أتريدين أن أكون صريحًا معك ؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلة بامتعاض :

- ليتك تكون كذلك .

- إننى معجب بك .

قالت له بتهكم :

- ثم ماذا ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- ماذا تعنين بثم ماذا هذه ؟

- ما الذى تريده بعد هذا الإعجاب ؟

- الذى أريده .. أريد أن نتقابل .. أن نتحدث معًا .. أن يكون بيننا حوار ما .

قالت له متهكمة :

- ولا بأس أن يكون هذا الحوار فى منزلك ، أو فى مكتبك .. وخاصة بعد العاشرة والنصف .. أليس كذلك ؟

- هذا هو ما أردت أن أتحدث إليك بشأنه ، على وجه خاص .. أن أصحح فكرتك السيئة عنى .

- لكنى لست مهتمة بأن يكون لى أية أفكار بشأنك .. لقد التقينا ذات ليلة فى إحدى الحفلات .. وتكرمت بتوصيلى .. ثم انتهى الأمر ، فلا داعى لكل هذه التصرفات ، والمناورات التى لا معنى لها .

- لا معنى لها بالنسبة لك .. أما بالنسبة لى فإنها تعنى الكثير .

- لا أدرى لماذا تصر على ملاحقتى هكذا ؟ إن شخصًا مثلك ، لا بد وأن لديه العديد من المعجبات ، ويمكنه أن يحظى بالكثير من الجميلات ، كما أخبرتنى من قبل .. بل ويستطيع أن يلفظ بعضهن أيضًا إذا أراد . فلماذا تصر على ملاحقة فتاة بسيطة مثلى ؟

- لقد أخبرتك .. لأننى معجب بك .

- وهل كل فتاة تنال إعجابك .. تلاحقها بتصرفات المراهقين هذه ؟

- أقسم لك إننى لم ألجأ لهذا الأسلوب ، مع أية فتاة أخرى غيرك ، ولكن ماذا أفعل ، وقد سددت فى وجهى كل الأبواب الأخرى ، التى حاولت أن أنفذ إليك من خلالها ؟

ابتسمت فى سخرية قائلة :

- إذن .. فقد اختصصتنى بهذه الطريقة الصبيانية ، دون غيرى من الفتيات اللاتى أعجبت بهن .. أظن أن لى الحق فى أن أزهو بذلك .

قال لها مستعطفًا :

- (رانيا) .. كفاك سخرية منى .. إن تصرفك معى ليلة الحفل ، لم يكن يوحى بهذه القسوة التى تعاملينني بها .

قالت له وكأنها تحاول أن تفسر موقفها :

- لقد أردت أن أعتذر لك ، عن الأسلوب الذى خاطبتك به ليلتها ، ولا أنكر أننى أحسست بالذنب بعد مغادرتك لمائدتنا .

ووجدت أن مشروعك الإنسانى يستحق التقدير ، لو تم تنفيذه بالفعل .. مما دفعنى للبحث عن وسيلة ، أعبر لك بها عن اعتذارى ، وأزيل أى أثر لسوء التفاهم ، الذى قد يكون حدث نتيجة محادثتنا .

- ولهذا أردت أن أوصلك فى طريقى .

- نعم .. ومع الأسف .. وجدت نفسى أرافق ذئبًا بشريًا

ضحك قائلاً :

- ذئبًا بشريًا !! هل أنا مخيف فى نظرك إلى هذا الحد ؟

من قال إنك تخيفنى ؟ إننى أعرف كيف أتعامل مع الذئاب .. وأحطم أنيابها لو اقتضى الأمر .

ابتسم قائلاً :

- وهذا ما يعجبنى فيك .. شجاعتك .. وثقتك بنفسك .

- والآن .. هل تسمح لى بأن أواصل طريقى ؟

- لماذا لا نكون صديقين ؟

- إننى لا أعرفك بالقدر الكافى لكى نتصادق .

- إذن امنحينا الفرصة لنتعارف .

- وإذا كنت لا أرغب فى هذا التعارف ؟

- على الأقل ، دعينى أوصلك إلى المكان الذى تريدين الذهاب إليه .

- أشكرك .. لست بحاجة لذلك .. فالمكان الذى سأذهب إليه ، يقع فى نهاية هذا الرصيف .

واستطردت قائلة :

- والآن .. هل تسمح لى ؟

قال باستسلام مصطنع وهو يفسح الطريق ، مادًا ذراعه أمامه ، وقد أشار لها بطريقة مسرحية :

ـ تفضلي .

واصلت (رانيا) سيرها دون أن تلتفت خلفها .. وقد أخفت ابتسامتها .

وما إن اجتازت الباب الأمامي للمتجر الذي دخلته ، حتى أفسحت المجال لابتسامتها قائلة لنفسها :

ـ ها هو ذا الوغد يدخل إلى المصيدة بخطوات سريعة .

ثم توقفت أمام مرآة صغيرة ، في أحد أركان المتجر ، وهي تنظر إلى نفسها قائلة :

ـ يبدو أنك قد حزت إعجابه حقًا .. وشخص مثله تعود على أن ينال ما يحوز إعجابه .. لن يتراجع عن ملاحقتك ، والسعي وراءك .

ثم قالت باشمئزاز :

ـ لكني لم أكن أظن ، أن شخصًا محترفًا مثله ، يمكن أن ينزلق إلى ما أردته له ، بمثل هذه السرعة والسهولة .. وأن يتصرف بمثل هذا الطيش والتفاهة الصبيانية .

تنبهت (رانيا) إلى صوت البائعة ، وهي تسألها قائلة :

ـ هل تريدين شراء شيء ما ؟

ـ هه .. آه .. نعم .. دعيني أر هذه التنورة ...

غادرت (رانيا) المتجر ، لتجده في انتظارها .

وما إن رأته حتى قالت له متأففة :

ـ أنت مرة أخرى ؟!

قال لها ببرود :

ـ أرجو أن تكوني قد وفقت في شراء ما تريدينه .

لم تحاول إخفاء ابتسامتها هذه المرة قائلة :

ـ ألا تمل أبدًا ؟

قال لها وهو يبادلها ابتسامتها :

ـ إذا كان الأمر متعلقًا بفتاة جميلة مثلك .. فلا يمكن للملل أن يعرف طريقه إليّ .

ثم مدّ يده قائلاً :

ـ أتسمحين لي أن أحمل هذا عنك ؟

ـ أشكرك .. لا داعي لذلك .

ـ لا أظن أنك سترفضين توصيلي لك هذه المرة ..

وتقدمها بعدة خطوات سريعة ، ليفتح لها باب سيارته قائلاً :

ـ أرجوك .. تفضلي .

نظرت إليه مترددة ، ثم ما لبثت أن ضحكت قائلة :

ـ يا لك من شخص لحوح !

ناولته ما اشترته ، ليضعه فى المقعد الخلفى لسيارته ، ثم جلست فى المقعد الذى يجاوره ، حيث سارع بالجلوس أمام عجلة القيادة .. مطلقًا العنان لسيارته .

تلفتت حولها قائلة :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟ هذا ليس هو الطريق المؤدى إلى منزل خالتى .

ابتسم قائلاً :

ـ سنذهب لتناول فنجانين من الشاى فى النادى .. ثم أوصلك إلى حيث تريدين .

قالت له بحدة :

ـ أى نادٍ .

ـ أى نادٍ من النوادى التى أشترك فيها .

قالت له بنفس النبرة الحادة :

ـ لكننى لا أريد الذهاب إلى أى نادٍ .. إننى أريد العودة إلى المنزل .

ـ قلت لك سأوصلك إلى المنزل .. إننى أريد فقط

أن نتحدث معًا ونتعارف .. لا تخشى شيئًا ، إننا ذاهبان هذه المرة إلى مكان عام .

قالت له بصرامة .

ـ أنزلنى هنا .. من فضلك أنزلنى هنا .

قال لها معترضًا :

ـ مرة أخرى .. كلا لن أنزلك هنا ، ولا فى أى مكان ، قبل أن تمنحينى الفرصة للتحدث إليك .

قالت له وقد ازداد انفعالها .

ـ سأصرخ لو لم تنزلنى .

قال لها بإصرار :

ـ اصرخى كما تشائين .

أطلقت (رانيا) صوتها بالصراخ .. فسارع بوضع يده على فمها ، وقد فوجئ بما فعلته .. قائلاً لها وهو يحاول تهدئتها :

ـ ماذا تفعلين أيتها المجنونة ؟ لا بد أنك مجنونة حقًا .

أرجوك لا داعى لهذه التصرفات الحمقاء .. إنك ستلفتين الأنظار إلينا .. أرجوك اهدئى .. ما رأيك لو ذهبنا إلى كافتيريا قريبة من هنا ، لنتناول فيها الشاى ؟ إنك موافقة .. هه ؟ أظن أنك لن تعترضى على ذلك .

ورفع يده تدريجيًا عن فمها .. وهو يراقبها .. لكنها عاودت الصراخ مرة أخرى .

قال لها وهو يعود ليضع يده على فمها مرة أخرى :

ـ حسن .. حسن .. لا داعى للصراخ .. إذا كنت تريدين العودة إلى المنزل سأوصلك .. لكن لا داعى لهذا الصراخ .. ربما ظن أحدهم أننى أحاول اختطافك .

واستطرد قائلاً وهو يبعد يده عن فمها :

ـ كنت أظنك ستوافقين على مرافقتى إلى الكافتيريا .

قالت له وهى تلتقط أنفاسها :

ـ حسن .. إننى أوافق .

تهلل وجهه بالفرحة قائلاً :

ـ حقًا .

ثم ما لبث أن ارتسمت ملامح الحيرة على وجهه ، وهو يستطرد قائلاً :

ـ لكن .. لماذا كنت تصرخين إذن ؟

قالت له بغضب :

ـ لأنك انشغلت بملاحقتى بهذا الإلحاح الثقيل ، وكتم أنفاسى ، عن النظر إلى الطريق ، والسيطرة على عجلة القيادة ، مما كدت معه أن تتسبب لنا فى كارثة .

وأردفت قائلة :

ـ لماذا لا يكون لشخص ثرى مثلك سائق يتولى قيادة سيارته ؟

ابتسم قائلاً :

ـ إن لدى سائقًا بالفعل ـ لكننى أفضل قيادة سيارتى بنفسى فى بعض الأحيان .

ـ آه .. خاصة عندما تحاول أن تبدى إعجابك بفتاة .

عاد ليبتسم بخبث قائلاً :

ـ إنك تسيئين الظن بى دائمًا .

قالت لنفسها وهى ترقبه بنظرة جانبية :

ـ إننى لا أسىء الظن بك .. بل أعلم جيدًا مدى نذالتك .

* * *

٧ ـ الحـــائرة ..

سألته قائلة :

ـ الآن وقد جلسنا معًا ، ما الذى تريد أن تعرفه عنى ؟

سألها قائلاً :

ـ هل أنت من الإسكندرية ؟

ـ كلا .. إننى موظفة صغيرة ، بإحدى الشركات فى القاهرة .

قال لها :

ـ حسن .. استمرى ، عرفينى بنفسك أكثر .

ـ والدتى متوفية .. وأنا أعيش مع أبى وأخى الصغير ، فى منزل بإحدى ضواحى القاهرة .

وليس لى أى أقارب ، عدا خالتى التى أقيم لديها الآن فى الإسكندرية .

وعمٌ مهاجر فى أستراليا منذ سنوات بعيدة .

هل تريد معرفة أى شىء آخر ؟

ـ نعم .. هل أنت مخطوبة أو مرتبطة بشخص ما ؟

ـ ولماذا تسأل هذا السؤال ؟

ـ لأننى أريد أن أعرف كل شىء عنك .

ـ لو كنت مخطوبة لرأيت خاتم الخطبة فى إصبعى .. ولا يوجد أى ارتباط حاليًا بينى وبين أى شخص .

قال لها وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

ـ حسن .. وماذا بعد ؟

هزت كتفيها قائلة :

ـ هذا هو كل ما لدى .

ـ فقط ؟

ـ ليس لدى ما أقوله لك عدا ذلك .

ـ ما رأيك لو منحتك وظيفة فى إحدى شركاتى براتب مغر .

ـ لكننى سعيدة بالعمل فى الشركة التى عينت بها .

ـ لكنى أظن أنك لا تحصلين على الأجر المناسب .

ـ إننى لا أهتم كثيرًا بالأمور المادية .

ـ لا توجد فتاة لا تهمها المسائل المادية .

ـ إن لدى ما يكفينى .

ابتسم (نبيل) قائلاً :

- لا أظن ذلك .. فأنا أعتقد أنه ينقصك الكثير . إن فتاة جميلة مثلك تستحق أن ترتدى أفخر الثياب .. وتأكل أحسن الأطعمة .. يكون لديها مسكن لائق .. وسيارة خاصة بها .. إلى آخر تلك الأشياء ، التى تحتاج إليها الفتيات فى عصرنا .

- لا أظن أن الأشياء التى تحدثت عنها ، ملحة وضرورية إلى هذا الحد .

- كيف ؟

- إن فتيات كثيرات ، يمكنهن الاستغناء عن أفخر الثياب .. وأفخر الأطعمة وليست لديهن سيارات خاصة .. ومع ذلك لا يشكون ولا يتبرمن مادمن يحيين حياة كريمة .

- لكن هذا لا يمنع أن الكثيرات من الفتيات ، يحلمن بتلك الأشياء .

- على أيّة حال لست واحدة منهنّ .

- لا أظن ذلك .. مادمت لا تنتمين إلى الملائكة .

- كل ما هنالك أننى لا أشغل نفسى كثيرًا ، بما لا أستطيع الحصول عليه .

- يبدو أنك تفتقدين الطموح .

- يجب أن تكون طموحاتنا متناسبة مع إمكانياتنا .

- لكننى أرى أنك لا تفتقرين ، إلى المؤهلات التى تجعلك تطمحين إلى الكثير .

- أى مؤهلات تقصد ؟

- الجمال مثلاً .

- آه .. وما هى فى رأيك الطريقة ، التى يمكننى فيها استخدام هذا المؤهل ، للوصول إلى ما أشرت إليه ؟

سعل قائلاً :

- يمكنك أن تعملى فى وظيفة تناسب مظهرك الجميل .. وتحصلى من خلالها على دخل جيد .

- أن أكون سكرتيرة لك مثلاً ؟

- اقتراح لا بأس به .. وأنا مستعد أن أمنحك راتبًا ممتازًا .. وفى خلال سنة أو اثنتين على الأكثر ، يمكننى أن أضمن لك الحصول على كل الأشياء التى حدثتك عنها .

- وما هو الثمن الذى يتعين على أن أدفعه لقاء ذلك ؟

قال لها مصطنعًا الدهشة :

- الثمن ؟ ماذا تعنين بذلك ؟

ـ أعنى ما الذى تريده منى ، مقابل هذا الراتب المجزى ، الذى سيوفر لى السكن اللائق ، والسيارة ، والثياب الفاخرة خلال عام واحد .

ـ لقد قلت لك إنك ستعملين سكرتيرة لى .

ـ آه .. وبالطبع فإن أعمال السكرتارية ، ليست هى كل ما يهمك من عملى لديك .. فلابد لهذا الجمال الذى تتحدث عنه ، أن يكون له دور آخر ، غير القيام بما تتطلبه وظيفة السكرتيرة .

ـ إننى لا أدرى .. من أين تأتين بهذه الأفكار ؟

ـ من نظرات عينيك ، التى توضح أغراضك جيدًا .. ومن سجلك الحافل الذى يعرفه الكثيرون هنا .

ـ يبدو أنك تعرفين عنى الكثير ، وهذا يكشف عن اهتمامك بى ، برغم تظاهرك بعكس ذلك .

ـ هذا ما يصوره لك غرورك .

ـ ومع ذلك فإننى أؤكد لك ، أننى لا أقصد من وراء هذا العرض ...

أشارت له بيدها ، وهى تقاطعه قائلة :

ـ لا تحاول أن تؤكد لى شيئًا .. لأننى لن أقبل هذه الوظيفة ..

ابتسم قائلاً :

ـ لكنك لن ترفضى دعوتى لك على العشاء .

ـ أظن أن دعوتك لى على الشاى تكفى .

ـ (رانيا) ليتك تصدقيننى ، حينما أقول لك إننى مهتم بك بالفعل .. وأحتاج إلى أن تمنحينى قدرًا من اهتمامك أيضًا .

ـ لماذا أنا بالذات ؟

ـ ليست لدى إجابة واضحة عن ذلك .

تعجبت (رانيا) .. لقد تخيلت للحظة أنها ترى الصدق فى عينيه ، وهو يحادثها عن اهتمامه بها .. صدقًا يصعب تكذيبه .

وتساءلت :

ـ أيكون بارعًا فى التمثيل إلى هذا الحد ؟

استمر فى حديثه قائلاً :

ـ أعرف أن سمعتى ليست فوق مستوى الشبهات ، بالنسبة لعلاقاتى العاطفية .

لكننى لست سيئًا إلى هذا الحد ، الذى يصورونه عنى .. أنت تعرفين كيف تختلق الشائعات ، وكيف يتم ترويجها ؟

فأنا رجل أعمال ناجح ، ولدى العديد من المنافسين ، ويهمهم أن يسيئوا إلىّ وإلى سمعتى - وهم يروجون بعض الإشاعات حول بعض العلاقات النسائية للإساءة إلىّ .

- لا تقل لى إن هذه الشائعات ، ليس بها جانب من الحقيقة .

- لا يمكننى إنكار ذلك - لكن ليس على النحو الذى يصورونه عنى ..

نهضت (رانيا) قائلة :

- إذن من الأفضل أن ننصرف الآن ، حتى لا يراك أحد وأنت جالس معى ، فيزداد رصيدك من الشائعات .

قال لها معترضًا :

- أنا لا يهمنى شىء مادمت معك .

- أما أنا فيهمنى - لأننى لا أحب لهذه الشائعات أن تمسنى ..

أمسك بيدها قائلاً بتوسل :

- (رانيا) .. أرجوك إننى أرتاح لوجودك معى .. وأحب أن أتحدث إليك .

جذبت (رانيا) يدها من يده قائلة :

- لم يعد هناك ما يقال .

- بل مازال لدينا الكثير لنقوله .

- أستاذ (نبيل) .. أليس لديك عمل لتؤديه ؟ أظن أن لديك الآن ما هو أهم من جلوسنا معًا .

- إننى مستعد لأن أرجئ أى عمل من أجلك .

ضحكت قائلة :

- إنك تتكلم بطريقة رومانسية ناعمة ، لا تتفق مع رجل أعمال معروف مثلك .

أمْ أنك ممن يجيدون التلاعب بالألفاظ ؟

- لا هذا .. ولا ذاك .. ليس أكثر مما قلته لك .. إننى أشعر باهتمام شديد بك .. اهتمام يجعلنى منجذبًا بقوة نحوك .

- وأنا أريد أن أنصرف الآن .

- بشرط أن تعدينى بقبول دعوتى للعشاء .

- سأفكر .

★ ★ ★

عادت (رانيا) إلى منزل خالتها وهى تتساءل عن سر هذه المشاعر المضطربة التى تجتاحها ، وتشوش أفكارها .

لقد أرادت أن تعرف هذا الرجل الذى تسبب فى وفاة أعز صديقاتها عن قرب .. وفكرت فى الانتقام منه بأى وسيلة تقدر عليها ، لكن هذه الفكرة تتراجع فى عقلها تدريجيًا الآن .

لقد فقدت حماسها للانتقام .. ولم تعد تستهويها هذه اللعبة ، التى أرادت أن تلعبها مع (نبيل عزمى) .

والأسوأ من ذلك .. أنها تحس بمشاعرها ، وكأنها تكاد أن تنجذب نحوه . وهذا ما يشعرها بالذنب .. بل والخوف .

لقد أحست بمشاعرها تنجذب إليه ، وهى جالسة معه اليوم على الرغم منها .

حاولت أن تصدق أكاذيبه .. برغم أنها تعلم جيدًا أنها أكاذيب .

وجدت نفسها تكاد أن تغوص فى بحار عينيه ، دون أن تستطيع دفعًا لهذا التيار القوى الذى يدفعها نحوه .

ألقت بنفسها على الفراش ، وهى فى حيرة من أمرها .. وقد أخذت تتساءل ما الذى حدث لها ؟ أين ذهبت صلابتها ؟ وأين ذهبت كراهيتها لهذا الرجل ؟

وما سر ارتباك مشاعرها على هذا النحو ؟

وتذكرت تحذير (هبة) لها .. ومخاطر الاقتراب منه .

إن فى عينيه مغناطيسية لم تحسها فى شخص آخر .. ولديه براعة فى التأثير على الآخرين ، يكاد المرء معها أن يكذب نفسه ويصدقه . كما أن لديه إصرارًا لا يلين فى سبيل الوصول إلى ما يريده .

وعادت لتتساءل فى حيرة .. ترى .. ما الذى يريده منها ؟ وما سر اهتمامه بها ؟ وما الذى يتعين عليها أن تفعله الآن ؟.. أتستمر فى محاولتها للتلاعب بعواطفه ، من أجل الانتقام منه ؟ أم تنجو بنفسها وتنسحب من هذه اللعبة ؟

إنها لعبة فاشلة منذ البداية .. لأنها بين طرفين غير متكافئين ، فأى حماقة هذه التى جعلتها تظن أنها تستطيع التلاعب بعواطف شخص مثل (نبيل عزمى) .. إذا كانت هذه هى لعبته المفضلة .. وهذا هو ملعبه ؟

إنها ستخسر بلا شك .. ولن تنال منه سوى السخرية ، لذا يتعين عليها أن تعود إلى القاهرة غدًا ، وتنسحب من هذه اللعبة . لكنها هبت من فراشها فجأة ، وهى تقف أمام المرآة قائلة لنفسها :

ـ ما الذى حدث لك يا (رانيا) ؟ أين ذهبت ثقتك بنفسك ؟ وأين ذهب إصرارك على الانتقام لصديقتك ؟

لقد حققت تقدمًا لا بأس به ، ودفعته إلى الاهتمام بك وملاحقتك من مكان لآخر ، وهو يتمنى لقاءك والجلوس معك ، ولو لدقائق معدودات .. أليس هذا انتصارًا وخطوة للأمام ؟

إن (نبيل عزمى) .. شهريار (الإسكندرية) .. يلاحقك أنت ويحدثك عن إعجابه بك .. إن هذا يعنى أنك تسيرين فى الطريق الصحيح .

حاولت أن تنام ، لكنها لم تستطع .. وظلت طوال الليل تتقلب فى فراشها ، بعينين مسهدتين ، وحينما أصبح النهار ، سارعت بمغادرة الفراش وارتداء ملابسها . حينما دخلت عليها خالتها لتسألها قائلة :

ـ لماذا ترتدين ثيابك فى هذه الساعة المبكرة ؟ وإلى أين أنت ذاهبة ؟

أجابتها قائلة :

ـ إننى سأعود إلى القاهرة .

قالت لها خالتها معترضة :

ـ بهذه السرعة !! لكنك أخبرتنى أنك ستقضين معنا عشرة أيام فى (الإسكندرية) .

ـ لقد تبين لى أن هناك بعض الأمور المهمة التى تستدعى عودتى إلى القاهرة .

وفى تلك اللحظة ارتفع رنين الهاتف .. فذهبت خالتها لترد عليه ، وعادت لتقول لها :

ـ إنه (نبيل عزمى) .. يريد أن يحادثك .

قالت لها :

ـ قولى له إننى غير موجودة .. وإننى سافرت إلى القاهرة .

قالت لها خالتها :

ـ لكن ربما أراد أن يحادثك فى أمر مهم .

ـ أرجوك يا خالتى .. قول له ما أخبرتك به

ـ كما ترغبين يا بنيتى .

لكن قبل أن تمسك خالتها بسماعة الهاتف ، لحقت بها (رانيا) قائلة :

ـ انتظرى .

واستطردت قائلة بعد لحظة من التردد :

ـ سأحادثه .

نظرت إليها خالتها باستغراب .. ثم ناولتها سماعة الهاتف .. وقد بدت (رانيا) خجلة من نفسها .

وسمعت صوته يقول لها :

ـ صباح الخير يا (رانيا) .. هل أيقظتك من النوم ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. لقد كنت مستيقظة ؟

ـ حسن .. لقد أردت أن أحادثك قبل سفرى .

قالت له متسائلة :

ـ سفرك ؟!

ـ نعم .. سفر قصير إلى دمنهور .. وسأعود فى السابعة مساءً ، فقد أردت أن أؤكد ، على موعدى معك للعشاء .

ـ لكن ...

لم يمنحها الفرصة لتقول شيئاً .. بل قال لها :

ـ سيأتى السائق إليك ، ليصحبك بسيارتى إلى المطعم الأنيق ، الذى اخترته لنتناول فيه العشاء معاً .. أرجو ألا تتأخرى .

قالت له باستسلام :

ـ لن أتأخر ...

★ ★ ★

٨ ـ مع خالص تحياتى ..

فى الساعة الثامنة مساءً رن جرس الباب الخارجى .. فقامت (هبة) لتفتحه ، حيث وجدت شخصاً يحمل بين يديه علبة كارتونية مغلقة وأنيقة ..

سألها الرجل باحترام قائلاً :

ـ الآنسة (رانيا) موجودة .

قالت له وهى تنظر إليه بتساؤل :

ـ نعم .

كانت (رانيا) موجودة فى الردهة الخارجية ، حينما سمعت سؤال الرجل عنها .. فأسرعت لتتبين الأمر .. قائلة له :

ـ أنا (رانيا) .

قدم لها الرجل اللفافة التى يحملها قائلاً :

ـ أنا السائق الخاص لـ (نبيل) بك .. لقد كلفنى أن أقدم لك هذه الهدية مع تحياته .

تناولت (رانيا) اللفافة التى قدمها لها قائلة بدهشة :

ـ هدية !

لم يمهلها الرجل .. بل قال لها سريعًا ، وهو يتأهب للانصراف .

ـ سأكون في انتظارك يا آنستي ، داخل السيارة ، أسفل المنزل . إن (نبيل) بك ينتظر حضورك في التاسعة تمامًا .

وبادر بالانصراف .. قبل أن تعقب بأية كلمة . بينما ظلت (رانيا) واقفة في الردهة ، وفي يدها العلبة الكارتونية التي قدمها لها وهي مرتبكة .

قالت لها (هبة) مداعبة :

ـ يا لك من فتاة محظوظة ! إن هدية من (نبيل عزمي) لابد أنها تساوي الكثير .

سألتها خالتها وفي نبرتها رنة اعتراض قائلة :

ـ ما الأمر يا (رانيا) ماذا يريد هذا الرجل منك ؟

ـ ما الذي تقصدينه يا خالتي ؟

قالت لها خالتها :

ـ لقد اتصل بك مرتين هاتفيًا ، صباحًا كنت تريدين السفر إلى القاهرة .. ثم عدلت عن رأيك بمجرد اتصاله بك ، برغم أنني طالبتك بالبقاء .

وهاأنتذي تخرجين معه للعشاء .. ثم يرسل لك بهدية .

ـ خالتي .. أنت تعرفينني جيدًا .. أنني لا يمكن أن أقدم على أي تصرف خطأ .

ـ إنني لا أتهمك بشيء .. فأنت تعرفين أن ثقتي بك تعادل ثقتي بـ (هبة) . لكنني أسألك ، ما الذي يريده منك ؟

هزت (رانيا) كتفيها قائلة :

ـ لا أعرف .. أظنه يريد أن يكون بيننا نوع من التعارف .

ـ لماذا ؟

تدخلت (هبة) في الحديث قائلة :

ـ لا تحرجيها يا أمي ، ربما كان معجبًا بها .

ثم حاولت تغيير الموضوع قائلة لـ (رانيا) وهي تجذب اللفافة من يدها :

ـ هيه دعينا نر ما الذي أرسله لك .. فإنني لم أعد أطيق صبرًا على الانتظار ... والفضول يكاد أن يقتلني .

ثم فتحت اللفافة ، وهي تطلق صفيرًا عاليًا قائلة :

ـ يا له من ثوب !

ثم أمسكت به بين يديها قائلة :

- إنه فستان سهرة رائع .

نظرت (رانيا) إلى الفستان قائلة :

- ماذا يظن نفسه ؟ وبأى حق يرسل لى هذا الفستان ؟

قالت (هبة) وهى ما زالت مبهورة بالفستان :

- لابد أنه يساوى بضع مئات من الجنيهات .

قالت (رانيا) وهى تذهب إلى الحجرة بخطوات غاضبة :

- لن أرتديه .

لحقت بها ابنة خالتها قائلة ، بعد أن أغلقت الباب خلفهما :

- هل أنت بلهاء ؟ كيف ترفضين هدية باهظة الثمن كهذه ؟

ثم ناولتها ورقة كانت بداخل العلبة ، وقد سطر عليها بضع كلمات قائلة :

- انظرى ، لقد أرسل لك هذه الرسالة مع الفستان .

قرأتها (رانيا) فوجدت مكتوبًا بها :

« أرجو أن تقبلى هذا الثوب مع تحياتى ..

وأتمنى لو أراك وقد ارتديته هذه الليلة .. فأنا أظن أنه سيكون رائعًا عليك » .

تناولت الفستان لتلقى به على السرير قائلة :

- سأعيد له هديته ... وأعتذر عن العشاء .

- لكن هذا تصرف غير لائق .. وقد يسبب له إحساسًا بالمهانة .

- عجبًا .. ألم تحذرينى أنت نفسك منه ؟ وتطالبينى بألا أتمادى فى علاقتى معه .

- نعم .. لكن ليس بهذا الأسلوب المتطرف .. ما دمت قد قبلت دعوته للعشاء .. فلا بد أن تلبيها .. وبعد ذلك قررى ما سوف تفعلينه .

- حسن .. أما هذا الفستان فسوف أعيده إليه .

نظرت (هبة) إلى الفستان قائلة :

- خسارة .. أظن أنه كان سيبدو رائعًا عليك بالفعل ، كما قال فى رسالته .

* * *

توقف السائق أمام المطعم الأنيق .. ثم بادر بفتح باب السيارة ؛ ليقودها إلى داخل المطعم ، متجهًا إلى المائدة التى يجلس إليها سيده .

نهض (نبيل) لاستقبالها ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح خيبة الأمل ، عندما رآها ترتدى ثوبًا آخر غير الذى أرسله .

صافحها مرحبًا وهو يدعوها إلى الجلوس ، ثم التفت إلى السائق قائلا :

ـ يمكنك أن تعود بالسيارة .. فسوف أتولى توصيل الآنسة بنفسى .

انصرف السائق ، بينما تحول (نبيل) لمجالسة (رانيا) قائلاً :

ـ أشكرك لقبولك دعوتى .. وكنت آمل لو حققت لى رغبتى فى ارتداء الفستان الذى أرسلته إليك .

ـ لم أكن لأستطيع أن أقبل هديتك .

سألها قائلاً :

ـ لماذا ؟

ـ لأنه لا يوجد مبرر لتقدم لى هدية باهظة الثمن كهذه .

ـ كان يمكنك أن تعتبريها تعبيرًا عن إعجابى بك .

نظرت إليه مليًا قائلة :

ـ إنها نفس الطريقة التى تحكم تفكيرك .

فأنت تظن أنك تستطيع أن تبهر الآخرين بهداياك الثمينة .

وأن هذه هى الوسيلة المثلى للتعبير عن مشاعرك .

نظر إليها قائلة :

ـ هل تعرفين ؟ أنك فتاة محيرة حقًا .

ـ ربما أكون مختلفة عمن عرفتهن من قبل .. وهذا سر حيرتك .. أنت نفسك قلت لى ذلك فى أحد لقاءاتنا .

ويبدو أن من عرفتهن كن ينبهرن بمثل هذه الأشياء التى تقدمها لهنّ كهدايا .

على أية حال .. أشكرك على هديتك .. وآسف لعدم قدرتى على قبولها .. لقد تركتها فى السيارة التى أحضرتنى إلى هنا .

ـ ولو أن هذا شىء جارح بالنسبة لى .. إلا أننى سأتغاضى عن ذلك ، على أمل أن تفهمينى على نحو أفضل فيما بعد .

ـ لا أظن أنه سيكون بيننا لقاءات فيما بعد .. فأنا سأعود إلى القاهرة غدًا .

قال لها وقد بدا عليه الاضطراب :

ـ بهذه السرعة ؟

ـ لقد انتهت إجازتى ولابد من عودتى .

ـ لكن هذا لا يعنى أنـه لن تحدث بيننا لقـاءات أخرى .

فنحن نستطيع أن نلتقى فى القاهرة ، أو فى أى مكان آخر .

قالت له بحزم :

ـ لن يكون بيننا لقاءات أخرى .. لا فى القاهرة ولا فى أى مكان آخر .

سألها قائلاً :

ـ لماذا !

ـ لأننى لا أجد أى معنى لهذه اللقاءات .

ـ أما أنا ، فهذه اللقاءات تعنى بالنسبة لى الكثير .. إننى بحاجة للتعرف إليك أكثر .. لقد قلت لك هذا أكثر من مرة .

أخبرتك أننى معجب بك .. وأننى أشعر باهتمام شديد نحوك ، ماذا تريدين منى أكثر من ذلك ؟

أتريدين أن أقول لك إننى أحبك ؟ إننـى بحاجـة لبعض الوقت كى أقرر ذلك .

لكن مادمت تريدين منى أن أقولها ، فسأقولها .. لكن توقفى عن معاملتى بهذا الجفاء .

قالت له بهدوء :

ـ ألن نتناول العشاء ؟

نظر إليها لبرهة من الوقت ، وهو يحاول أن يكظم انفعاله .

ثم نادى الجرسون قائلاً :

ـ حسن .. لنتناول العشاء .

★ ★ ★

٩ ـ لــن أكـــون لك ..

تأملته لبرهة من الوقت ، وهى تستند بذقنها إلى قبضة يدها اليسرى ، ثم ما لبثت أن أطلقت ضحكة قصيرة .

نظر إليها بدهشة تمتزج بالغضب قائلاً :

ـ ما الذى يضحكك ؟

قالت له من خلال ضحكاتها :

ـ آسفة .. لكن منظرك يبدو مضحكًا وأنت غاضب هكذا .

سألها قائلاً :

ـ أيعنى هذا أنك تسخرين منى ؟

قالت له وهى لا تستطيع أن تتوقف عن الضحك :

ـ عفوًا .. لكنى لا أستطيع أن منع نفسى عن الضحك .. إن وجهك ..

قال لها منفعلاً :

ـ لا شأن لك بوجهى .

ثم ما لبث أن تلاشى انفعاله ، وانخرط فى الضحك بدوره .. على نحو أثار انتباه الموجودين .

وما إن هدأ قليلاً حتى قال لها :

ـ يا لك من فتاة غريبة الأطوار ! فأحيانًا تثيرين أعصابى إلى حد الغضب ، وأحيانًا أخرى تضطريننى إلى الضحك .

قالت له مبتسمة :

ـ على أية حال .. هذا أفضل .. فلم أكن لأتناول طعامًا مع شخص مكفهر الوجه هكذا .

لكن هل تعرف أنك تبدو أحيانًا ، كما لو لم تكن من رجال الأعمال ؟

سألها قائلاً :

ـ كيف ؟

ـ لا أعرف .. ولكن مطاردتك لى بالسيارة فى الطرقات ، والبساطة التى تبدو عليها أحيانًا ، لا تتفق مع الصورة التى تخيلتها عن رجال الأعمال ، من أصحاب المظهر الصارم .. والسيجار الغليظ فى الفم .

ابتسم قائلاً :

ـ لا تنخدعى فى مظهرى كثيرًا .. فأحيانًا أبدو على هذه الصورة التى تتخيلينها .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

ـ وأحياناً أخرى أبدو كصعلوك .

سألته فجأة قائلة :

ـ ألم تفكر فى الزواج بعد ؟

نظر إليها قليلاً قبل أن يقول :

ـ لماذا تسألينني هذا السؤال ؟

هزت كتفيها قائلة :

ـ مجرد سؤال فضولى .. فكل شخص لابد أن يأتى عليه وقت يفكر فيه فى الاستقرار .. أن يكون له زوجة .. وأولاد .. وحياة اجتماعية تختلف عن حياة العزوبة . حتى لو كان هذا الشخص له رصيد من العلاقات العاطفية المتعددة . فلا بد وأن يمل تلك العلاقات ، ويفكر فى وسيلة أخرى للحياة والاستقرار . ولا أظن أن لديك مشكلة بشأن الإمكانيات المادية .. ولا بشأن الاختيار .

قال لها وهو يدير الكوب الزجاجى الذى بين يديه :

ـ بالطبع فكرت فيما قلته فى وقت ما .. بل خطوت خطوات جادة فى سبيل تنفيذه .

سألته باهتمام قائلة :

ـ أتعنى أنك اتخذت خطوات جادة بشأن الزواج ؟

قال لها وهو ينظر إلى الكوب الذى يديره بين أصابعه :

ـ نعم .

ـ وما الذى حدث ؟

ـ صمت برهة قبل أن يرفع عينيه عن الكوب ، لينظر إليها مبتسمًا وهو يقول :

ـ ثم عدلت عن الفكرة .. ووجدت أن حياة العزوبة أفضل .. وأننى لا أستطيع أن أتخلى بسهولة عن الأسلوب الذى اعتدت أن أعيشه .

وتأملها برهة وهو يستطرد قائلاً بنبرة ذات مغزى :

ـ لكن ربما عدلت عن هذا التفكير مستقبلاً .. فمن يدرى ؟

سألته قائلة :

ـ ألم تعرف الحب من قبل ؟

قال لها ساخرًا :

ـ الحب ؟ إذا كنت تقصدين الحب بمعناه الشامل .. فلا أظن .. لكن أحيانًا تجديننى أحب شيئًا ما فى إحدى الفتيات اللاتى أعرفهنَ . عينيها مثلاً .. نعومة بشرتها .. شقاوتها .. عنادها .

- وما الذى أحببته فىّ إذن ؟

ابتسم قائلاً :

- الصفة الأخيرة .. العناد .. أحيانًا أهوى النوع الصعب والعنيد من الفتيات ، وهذا أكثر ما يجذبنى فيك .

قالت له ساخرة :

- إلى أن يتحقق انتصارك وتتغلب على هذا العناد ، أليس كذلك ؟

قال لها بثقة مستفزة :

- وغالبًا أنجح فى ذلك .

قالت له (رانيا) بثقة مماثلة :

- أنت واهم يا عزيزى .. فلن أكون فى يوم من الأيام إحدى فتياتك ، ولن أكون ضمن قائمة انتصاراتك .

وهبت واقفة بعد أن أنهت جملتها ، فقال لها معتذرًا وهو يمسك يدها :

- هل أغضبتك ؟ إننى لا أقصد ما قلته .. لقد أردت أن أمازحك فقط .. أرجوك اجلسى .

جذبت يدها من يده قائلة :

- لقد تأخرت ، وأريد أن أعود إلى المنزل .

- لكننا لم نبدأ حديثنا معًا بعد .

- إننا معًا لأكثر من ساعة ونصف .. وقد تحدثنا معًا بالقدر الكافى خلال هذا الوقت .

- لكن مازال لدى الكثير أرغب فى أن أقوله لك .

قالت له متهكمة :

- عن المميزات التى تستهويك فى الفتيات اللاتى تعرفهن .. وعن براعتك فى التغلب على عناد البعض منهن .. وإرغامهن على حبك .. ألم تنته من استعراض مهارتك أمامى بعد ؟

نهض (نبيل) قائلاً :

- لست بحاجة لأن ألجأ إلى هذا الأسلوب .. لقد أخبرتك بأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد مزاح .

- وأنا قد سئمت هذا المزاح .. وأرغب فى العودة إلى المنزل .

نظر إليها بقنوط قائلاً :

- هل تعرفين .. إنك أكثر الفتيات اللاتى عرفتهن تطرفًا وعنادًا ؟

ثم أشار لها وهو يلقى بالنقود على المائدة قائلاً :

ـ هيا بنا .
تأملته وهو يقود السيارة قائلة لنفسها :
ـ لقد أغضبته .. ربما لم يكن ...
لكنها امتنعت عن الاسترسال فى هذا التفكير ، وهى تلوم نفسها قائلة :
ـ ما الذى دهاك ؟ هل أصبحت تخافين على مشاعره وتخشين إغضابه ؟
ما الذى يعنيك من أمره ؟ إنه الرجل الذى تكرهينه ، وتحملينه مسئولية وفاة صديقتك ؟
سألته قائلة :
ـ هل تلاشت رغبتك فى الحديث إلىَ ليحل محلها هذا الصمت المطبق ؟
نظر إليها قائلا :
ـ ظننت أن حديثى يزعجك .
ـ هذا يتوقف على نوع الحديث .
سألها قائلاً :
ـ أتتعمدين أن تكونى محيرة بالنسبة لى ؟
ـ وما الذى يدعونى لذلك ؟
ـ على أية حال ، ربما أكون قد أسأت التصرف معك ، بأكثر مما ينبغى .

سألته قائلة وهى تنظر إلى الطريق :
ـ إلى أين أنت ذاهب ؟
ـ أريد أن تلقى نظرة على مكان ما ، قبل أن تعودى إلى المنزل .
ـ لكنى تأخرت ، ويتعين علىّ أن أعود إلى المنزل الآن ، قبل أن تقلق خالتى علىّ .
قال لها وهو يقود السيارة بسرعة ، دون أن يأبه لما قالته :
ـ اطمئنى لن أؤخرك كثيرًا .
وتوقف بالسيارة فى مكان منعزل تحوطه الأشجار ، ويطل على البحر مباشرة .
سألته بارتياب قائلة :
ـ لماذا توقفت هنا ؟
استدار إليها قائلاً :
ـ ما رأيك ؟ إننى أفضل هذا المكان ، لأنه يتميز بالهدوء .
ثم أردف قائلاً ، وهو يعبث بخصلات شعرها :
ـ ويعطى للمرء قدرًا من الحرية بعيدًا عن العيون المتلصصة .

تراجعت فى مقعدها إلى الوراء .. فسألها بصوت هامس قائلاً :

ـ هل أنت خائفة منى ؟

قالت له وهى تحاول إخفاء مخاوفها :

ـ من فضلك أعدنى إلى المنزل .

قال لها وفى صوتــه نـبرة تصميـم ، وقـد ازداد اقترابًا منها :

ـ سأعيدك إلى المنزل .. ولكن ليس قبل أن نقضى وقتًا لطيفًا معًا .

قامت بفتح باب السيارة ، وهى تهـم بمغادرتها .. لكنها أغلقه قائلاً :

ـ أظن أنه يتعين عليك أن تتوقفى عن المقاومـة هنا .. لقد رفضت أن تأتى معى إلى مكتبى ، أو إلى منزلى ، حتى لا تبدين أمامى سهلة المنال . حسن لقد أقنعتنى بذلك .. أما الآن ، فدعـى الأمور تسير بيننا بشكل طبيعى .. خاصـة فـى هـذا المكـان الشاعرى الحالم .

قالت له محذرة :

ـ سأصرخ :

قال لها ساخرًا :

ـ لن يسمعك أحد هنا . أرجوك كفاك تظاهرًا .

وما لبث أن انقض عليهـا ، محـاولاً احتضانهـا .. لكنها قاومته بشدة ، وأفلتت نفسها من بين يديه .

أمسك بذراعيها فى قوة قائلاً لها :

ـ ماذا تريدين منـى بـالضبط ؟ لقد وضعت نفسك فى طريقى ، ولم أسـع أنـا إليك .. استخدمت أسلحة المرأة لإغرائى .. ثم عمدت إلى الهرب منـى .. تـارة تشجعيننى على التقرب إليك ، وتارة أخرى تتظـاهرين نحـوى بالجفـاء ، وتمثليــن علـىّ دور الفتـاة الجـادة الملتزمة . أى لعبة تلعبينها معى ؟

لا تحـاولى أن تتظـاهرى أمـامى بـالبراءة .. فأنـا أعرف هدفك من كل هذا جيدًا .. ولا تظنينى شـابًا غريرًا ، يمكنك أن تتلاعبى بمشاعره وتدفعيـه إلـى تحقيق أهدافك إذا كنـت مـن النـوع الـذى يسعى وراء الزواج ، ولا يكفيه مصادقة رجل أعمال مثلـى .. كمـا حـاولت أن تلمحى لـى .. فـأنصحك بـأن تنسـى هـذا ، لأننى لست من النوع الذى يستهويه الزواج .. وإذا فكرت فى الزواج ، فلن أتزوج فتاة مثلك .

دفعته فى صدره دفعة قوية .. قائلة بغضب :

ـ أنت آخر شخص يمكننى أن أتزوجه .

قال لها وهو يشدد من قبضته على ذراعيها :

ـ إذن لماذا تضيع الوقت فى هذه المناورات الساذجة ولا نتعامل مع بعضنا بشكل أكثر وضوحًا ؟ إننى أستطيع أن أحقق لك الكثير من الأشياء التى تتمنينها .

خلصت (رانيا) ذراعيها من قبضته . ثم انهالت على وجهه بصفعة قوية ، وسارعت بفتح باب السيارة قائلة :

ـ أنت أحقر إنسان قابلته فى حياتى .. ولا يمكنك أن تتصور مدى كراهيتى لك !

ثم اندفعت تركض بقوة ، وقد انسابت العبرات فوق وجنتيها ، بينما ظل هو جالسًا داخل سيارته ، وقد تملكته حالة من الوجوم الشديد .

حاول اللحاق بها .. لكنها كانت قد اختفت عن ناظريه تمامًا .

* * *

١٠ ـ لا تطلب منى الصفح ..

غادرت (رانيا) عملها فى الشركة التى تعمل بها فى القاهرة ، وما كادت تخطو خارج مقر الشركة حتى وجدته أمامها .

نظرت إليه بازدراء .. ثم حاولت تجاهله .. لكنه لحق بها قائلا :

ـ (رانيا) .. أرجوك دعينى أتحدث إليك .

قالت له بغضب :

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قال لها بلهجة متوسلة :

ـ كان لا بد أن أراك بأى وسيلة .. إنك لا تعرفين مقدار إحساسى بالذنب نحوك . فأنا لم أذق طعم النوم منذ يومين بسبب ما حدث .

وقد بذلت كل الجهد ؛ لكى أعرف مكانك وآتى إليك ؛ لأطلب منك أن تسامحينى .

قالت له بانفعال :

ـ لعبة جديدة تريد أن تعلبها .. لا بد أنك تعرف أن هذه اللعبة ليست جديدة تماما .

قال لها متوسلا :

ـ لك حق فى ألا تصدقينى .. لكن أؤكد لك أننى نادم بالفعل على ما فعلته .

ـ من المؤكد أن أشخاصا مثلك لا يعرفون الندم .

ـ لا أدرى كيف أجعلك تصفحين عنى ؟

قالت له بجفاء :

ـ من فضلك ابتعد عن طريقى .

حاول أن يتحدث إليها ، لكنها صدته بعنف قائلة :

ـ لو لم تبتعد .. فسوف تجبرنى على أن أتصرف معك بأسلوب عنيف ، يسىء إليك .

قال لها :

ـ حسن .. لكنى لن أعود إلى (الإسكندرية) ، قبل أن تغفرى لى تصرفى معك .. وسأعاود المحاولة مرة أخرى .

* * *

وفى اليوم التالى وجدته فى طريقها مرة أخرى .

قالت فى ضيق وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها :

ـ أنت .. مرة أخر ؟!

قال (نبيل) متوسلاً :

ـ (رانيا) .. أرجوك ...

قالت له بإصرار :

ـ أرجوك أنت .. ابتعد عن طريقى .

ـ أنا أعرف أننى تصرفت معك تصرفًا غير أخلاقى ـ وأن لك الحق فى أن تكرهينى بسبب ما فعلته معك . لكن الأمور اختلفت بالنسبة لى فيما بعد .

(رانيا) .. لقد أصبحت أفكر فيك بشكل مختلف .

ـ وسيلة جديدة هذه .. لتحقيق أهدافك .

ـ ماذا أفعل لكى تصدقينى ؟

ـ وفرّ على نفسك هذا الجهد ، فلن تستطيع أن تخدعنى .

ـ إن إلحاحى ومشاعرى السابقة نحوك .. وإصرارى على أن أبرئ نفسى أمامك ، تعبر عن مكانة كبيرة لك فى نفسى .

صاحت فيه قائلة :

ـ يمكنك أن تخدع غيرى بهذا .. ولا يهمنى كثيرًا أن تكون لى أية مكانة عندك .

وهمت بالابتعاد .. لكنه أمسك بذراعها ليستوقفها قائلاً :

ـ (رانيا) .. هل تتزوجيننى ؟

التفتت إليه وهى تنظر إليه بازدراء .. ثم جذبت ذراعها من يده بعنف ، وواصلت طريقها دون أن تجيبه .

لحق بها قائلاً :

ـ (رانيا) .. لقد عرضت عليك الزواج .. فماذا قلت ؟

قالت له :

ـ لقد قلت لك من قبل .. أنت آخر شخص يمكننى أن أتزوجه .

ـ لكننى أحبك .

قالت له متهكمة :

ـ تحبنى ؟! إنك تجهل معنى هذه الكلمة .

ـ لا تظلمينى .

ـ أنت الذى يتحدث عن الظلم .. وقد ظلمت الكثيرين .

قال لها بانفعال مدافعًا عن نفسه :

ـ أنا لم أظلم أحدًا .. وإذا كنت تتحدثين عن علاقاتى السابقة ببعض الفتيات .. فقد كن يدركن تمامًا أبعاد هذه العلاقات ، ولم أخدع إحداهن مطلقًا .

احتدت قائلة :

ـ و (سامية) ؟

نظر إليها بدهشة مرددًا :

ـ (سامية) !!

ـ نعم .. (سامية) التى ماتت منتحرة من أجلك .. (سامية) التى خدعتها بكلمات الحب وبخاتم الخطبة ـ وجعلتها تبنى آمالها عليك ، وتعيش أحلامًا وردية أوهمتها بها ، ثم هدمت هذه الآمال ، وحطمت هذه الأحلام .. لتدفعها فى النهاية إلى الموت ، بعد أن طردتها من حياتك .

سألها قائلاً بعد برهة من الصمت :

ـ وما هى علاقتك بـ (سامية) ؟

ـ لقد كانت أعز صديقة لى .. وقد أرسلت لى خطابًا قبل انتحارها ، أخبرتنى فيه عما فعلته بها ..

وعن تخليك عنها .. على النحو الذى دفعها إلى الانتحار .

قال بنبرة خافتة ، وقد خفض بصره :

ـ هى أخبرتك بذلك ؟

ـ ومازلت أحتفظ بخطابها معى .

ـ إذن .. فقد كنت تعرفين الكثير عن علاقتنا .

ـ كنت أعرف أنها كانت سعيدة بخطبتها لك ، وأنها تكاد أن تحلّق فى السماء بمشاعر الحب التى تحملها فى قلبها نحوك .

لم نكن نلتقى كثيرًا فى الآونة الأخيرة .. لكنها كشفت لى عن كل تلك المشاعر والأحاسيس خلال رسائلنا واتصالاتنا الهاتفية ، وكنت سعيدة من أجلها ـ لأنها وجدت الرجل الذى يقدر مشاعرها الرقيقة ـ ويبادلها العاطفة التى تستحقها .

لم يكن يعنينى كثيرًا أن الرجل الذى ارتبطت به رجل أعمال ثرى .. فلم يكن هذا هو حلم (سامية) .

بل كان حلمها الرومانسى دائمًا ، هو أن تجد رجلاً

يتسع قلبه لمشاعر دافئة قوية ، يمكنه أن يغمرها بها .

وظننت أنها وجدت لديك هذه المشاعر .. لكن مع الأسف كانت مشاعرك زائفة .. وتخليت عنها بقسوة ، برغم كل كلمات الحب التى أخبرتنى أنك كنت ترددها على أسماعها .

قسوة دفعتها للانتحار .. وأسلمتها للموت .

قال لها بنفس النبرة الخافتة :

ـ ولهذا حاولت التقرب منى .. ووضعت نفسك فى طريقى .

ـ نعم .. أردت أن أرى عن قرب ، ذلك الإنسان المنعدم الضمير ، الذى تسبب فى وفاة أقرب إنسانة إلى نفسى .

وفكرت فى الانتقام منك .. لكننى وجدت نفسى عاجزة عن تحقيق هذا الانتقام .. برغم كراهيتى لك .

ـ إذن فهذا هو سر سعيك إلى التعرف إلى .

ـ وعندما أقدمت على هذا التصرف الوضيع معى ، أيقنت مدى انعدام ضميرك .. وازدادت كراهيتى لك .

هل عرفت الآن .. لماذا لا يمكننى أن أصفح عنك ـ مهما سعيت لطلب الصفح ؟

نكس رأسه قائلاً :

ـ نعم .. عرفت .

ثم استدار عائدًا ، دون أن يعقب بكلمة أخرى واحدة .

* * *

١١ ـ مشاعر مضطربة ..

مرّ شهر منذ لقائهما الأخير ، حاولت (رانيا) خلاله أن تشغل نفسها بعملها ، وأن تتناسى الظروف التى جمعتها بـ (نبيل) .

لكن محاولتها هذه ظلت تبوء بالفشل دائمًا .

فهى لم تستطع أن تمنع نفسها من نسيانه ، برغم كراهيتها له .

ولم تتمكن من التغلب على تلك المشاعر التى تشدها إليه ، برغم ما ألحقه بها من أذى .. وبرغم صورة (سامية) التى تقف بينهما .

كانت تظن أنه لن يتوقف عن ملاحقتها .. وأنه سيسعى مرة أخرى إلى لقائها ـ وتفسير ما حدث .. وتبريره بأسلوب الكذب الذى اعتاد أن يفسر به الأمور .

لكنه توقف عن هذه الملاحقة ، ولم يعد يعترض طريقها كما اعتاد أن يفعل منذ أن التقيا .

لقد قطع أى اتصال له بها .. ولم يحاول حتى أن يقدم تبريرًا واحدًا .

كانت تردد لنفسها قائلة :

ـ وما الذى يمكنه أن يبرر به غدره بتلك الفتاة المسكينة ، التى راحت ضحية حبها له ؟

لقد قرر أن يبتعد حينما واجهته بحقيقة جرمه .. وحينما وجد نفسه وقد انكشفت صورته الحقيقية أمامى .

أو ربما لأنه لم يجد فائدة من مطاردته لى ، بعد أن كشفت حقيقة أمره .. وتبين له أنه لن يستطيع تحقيق أحد تلك الانتصارات ، التى اعتاد أن يحرزها مع الفتيات اللاتى عرفهن من قبل .

لكن الغريب أنها أحست خلال الأيام الماضية ، بأنها تفتقده ، وتترقب ظهوره من آن لآخر .. وتتمنى لو عاد ليلاحقها كما كان يفعل من قبل .

وهى تحس بالذنب ، من أجل هذه المشاعر التى تنكرها على نفسها .

وأحيانًا تشعر بالغضب الشديد .. لأنها سمحت لنفسها بالتفكير فيه على هذا النحو .

وتساءلت :

ـ ترى .. هل أحبته ؟

لكن كيف يمكنها أن تحب شخصًا كهذا ؟

شخصًا لا ضمير ولا أخلاق له .

الشخص الذى تسبب فى موت أعز صديقة لها .. والذى لم يهتز ضميره لحظة واحدة من أجل موتها .. فحاول بعد فترة قصيرة من موتها ، أن يغرر بأول فتاة التقى بها فى طريقه .

أخذت تهز رأسها بعنف ، وكأنها تنفض عن عقلها هذا التفكير ، قائلة لنفسها :

ـ كلا .. لا يمكن أن أكون قد أحببت مثل هذا الشخص .. ولا يمكن أن تتحول مشاعر البغض التى أحملها نحوه .. لتتخذ شكلاً آخر مختلفًا ، على هذا النحو الذى ينتابنى .

لا بد أن أطرده من تفكيرى ـ وأن أنحيه تمامًا عن مشاعرى ، وإلا كرهت نفسى .

لكن ما أرادته كان شيئًا مختلفًا ، عما كانت تدفعها إليه مشاعرها ، فلم تستطع أن تبعده عن تفكيرها كما أرادت .. ولم تستطع أن تنحيه تمامًا عن مشاعرها كما ظنت .

فقد ظل يلحّ على عقلها وقلبها بقوة ، طوال الأيام التالية .

كانت تستطيع إقناع نفسها بأنها تكره هذا الشخص .. وأنها لا ترغب فى رؤيته فى بعض الأحيان .

لكن هذا الإقناع الزائف .. كان سرعان ما يتبدد ، كلما غالبها شوقها إليه .. الأمر الذى أصابها بالحزن والكراهية لنفسها .

فانعزلت فى غرفتها .. بعد أن حصلت على إجازة من العمل ، وقد سيطرت عليها حالة من الكآبة .

وما لبثت أن سمعت طرقات على باب حجرتها .. فنادت قائلة :

ـ ادخل .

رأت أباها وهو يدخل عليها حجرتها ، محاولاً رسم الابتسامة على وجهه ، قائلاً لها :

ـ أما زلت مصرّة على البقاء فى حجرتك هكذا ؟

قالت له وهى تعتدل فى فراشها :

ـ أشعر بحاجتى إلى الراحة فى الفراش .

سألها قائلاً :

ـ هل أنت متوعكة ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. إننى أشعر فقط ببعض الإرهاق .

سألها وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

ـ هل هذا هو فقط سرّ ملازمتك لحجرتك ؟

قالت له وهى تتجنب نظراته :

ـ طبعًا يا أبى .. وماذا سيكون غير ذلك ؟

قال لها بصوت حنون :

ـ لا أدرى لماذا أحسّ بأنك تخفين عنى شيئًا ما .

قالت له باضطراب :

ـ أنا .. ومتى كنت أخفى عنك شيئًا يا أبى .

قال لها وملامح وجهه تعكس قلقه على ابنته :

ـ منذ أن سافرت إلى خالتك فى (الإسكندريّة) .

ـ وما الذى جعلك تظن ذلك ؟

ـ لا أعرف .. لقد تبدلت حالتك منذ أن عدت من هناك .

لقد ظللت أراقبك ، وأنتظر أن تخبرينى عمّا اعتراك منذ عودتك ، لكنك لم تبوحى لى بشىء .

وكما تعرفين فإننى قد عودتك على ألا أتدخل فى أمر يخصك ، إلا إذا رغبت أنت فى ذلك .. لذا لم أحاول أن أسألك عن شىء برغم قلقى بشأنك .

وحينما حصلت على هذه الإجازة من عملك .. ظننت أنها ستكون فرصة للتخلص من أى متاعب تكون قد قابلتك فى الآونة الأخيرة ، وأننا سنخرج معًا للهو ونمرح كما كنا نفعل من قبل .

لكننى وجدتك تعتكفين فى حجرتك .. وتمتنعين عن تناول طعامك ، حتى شحب وجهك ، ونحل جسدك .. وأصبحت فى حالة تستدعى أن أتدخل لأسألك عما بك .

قالت له وهى تحاول أن تبدد قلقه :

- لا شىء يا أبى .. لا تقلق بشأنى .. فكل ما فى الأمر ، أننى أشعر ببعض الإرهاق من العمل ، كما قلت لك ، وعندما أحصل على قسط وافر من الراحة ، فسوف أسترد حالتى الطبيعية ونخرج معًا كما تشاء .. وكما كنا نفعل من قبل .

هز كتفيه قائلاً وقد بدا أنه غير مقتنع بما قالته :

- كما تشائين يا بنتى .. لن أثقل عليك .. وإذا أردت أن تخبرينى بشىء ، فتذكرى أنك ما زلت تستطيعين الاعتماد على صداقتى ، بقدر اعتمادك على أبوتى .

نظرت (رانيا) إلى أبيها بحنان قائلة :

- أشكرك يا أبى .. لن أنسى ذلك .

قال الأب بلهجة مرحة :

- حسن .. والآن سأذهب إلى المطبخ ، لأعد لك غداء شهيًا ، وحذار أن تقولى لى إنك لن تستطيعى تناوله .. فعندما ترين ما سوف أعده لك من طعام ، ستنفتح شهيتك فى الحال ، ولن يمكنك مقاومة إغرائه .

وأؤكد لك ، أن الإرهاق الذى تشعرين به ، سيزول فى الحال بعد تناوله ..

حاولت (رانيا) أن تتظاهر بالابتسام قائلة :

- حسن يا أبى ، أعدك بأننى سأتناول الغداء معك .

قال الأب وهو يلوح لها ببعض الجرائد والمجلات فى يده :

- حسن .. هل ترغبين فى قراءة جرائد ومجلات اليوم .

أومأت له قائلة :

ـ لا بأس بذلك .. ولكنى أشعر الآن برغبة شديدة فى النوم .

وضعها الأب على (الكومودينو) المجاور لها قائلاً :

ـ على أية حال .. سأتركها بجوارك لتقرئيها وقتما تشائين .

تناولت يده لتقبلها بحنان ، وهى تنظر إليه قائلة :

ـ أشكرك يا أبى .. إننى سعيدة الحظ لأن لى أبًا حنونًا مثلك .

اغرورقت عيناه بالعبرات ، وهو ينظر إليها .. لكنه سارع بإخفاء ذلك .

ومسح بيده على شعرها ، وقد أدار وجهه إلى الجهة الأخرى .. ثم سارع بمغادرة الحجرة .

ألقت (رانيا) برأسها على الوسادة وهى تقول لنفسها :

ـ ليتنى كنت أستطيع يا أبى أن أخبرك بحقيقة الأمر .

لكن ماذا أقول لك ؟

هل أقول لك إننى عرفت شخصًا لا ضمير له ولا أخلاق ؟ شخصًا يهوى التلاعب بعواطف الفتيات .. دون أن يقيم وزنًا لمشاعر أو مبادئ .. كما يهوى جمع المال ؟

شخصًا تسبب فى وفاة أعز صديقة لى .. وأننى مع ذلك أكاد أن أقع فى حبه ، وأننى لم أجد لدىَ الإرادة ولا الصلابةَ ، التى تمكننى من التصدى لمشاعرى المتقلبة نحوه ، بالرغم من كل ما عرفته عنه من مساوئ .. وبالرغم من كل العبرات التى سكبتها من أجل صديقتى ، وحزنى على ما فعله بها ؟

ماذا ستقول عنى لو أخبرتك بذلك ؟

وأى خيبة أمل ستحسها فى ابنتك ، التى ربيتها على المبادئ وعلى الإخلاص ، وعلى كل المعانى التى تتعارض مع هذه المشاعر ، التى أحسها تجاه شخص هذه أخلاقه ؟ وتجاه صديقة لم أكن وفية لها بالقدر الذى تصورته ؟ وما هو المبرر ، الذى أستطيع أن أبرر لك به ضعفى واستسلامى لهذه العاطفة الملعونة ؟

تقلبت فوق فراشها ، كما لو كانت تتقلب فوق أشواك مدببة حينما لمحت عيناها خبرًا مكتوبًا فى إحدى الجرائد ، التى وضعها أبوها بجوارها ، كان الخبر متضمنًا اسم (نبيل عزمى) وصورته .

أسرعت تتناول الجريدة فى الحال ، وهى تتساءل عما إذا كان والدها قد تعمد أن يتركها بجوارها ، مبرزًا هذا الخبر على هذا النحو .. أم أن الأمر جاء عفويًا .

وسرعان ما أغفلت هذا التساؤل ، وهى تطالع الخبر الموجود فى الجريدة ، وقد تملكتها حالة من الاضطراب الشديد .

لقد كان الخبر يقول :

« تعرض رجل الأعمال السكندرى المعروف لحادث سيارة على الطريق السريع ليلة أمس .. وتم نقله إلى مستشفى الرحمة فى حالة خطرة » ..

وتهاوت الجريدة من يدها ، وقد تلاشت كل الصراعات والتناقضات التى أحستها فى نفسها .. وتملكها إحساس واحد .. إحساس بالخوف على حياته ، وبأن عليها أن تهرع إلى المستشفى الذى نقل إليه بأسرع وسيلة .

نعم .. لقد تعمد والدها أن يترك الجريدة على هذا النحو ، الذى يظهر نبأ الحادث الذى تعرض له (نبيل عزمى) . فلا بد أنه يعرف بطريقة أو أخرى ، شيئًا عن صلتها بهذا الرجل .

كما أنها لم تعد تعرف فى هذه اللحظة سوى شىء واحد .. أنها لا تقوى على تجاهل عاطفتها نحوه .. وخوفها على حياته .

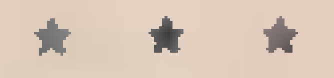

١٢ ـ الرجل الذى أحببته ..

قادتها الممرضة إلى الغرفة التى يرقد بها (نبيل) ..

وما إن دلفت إلى الداخل ، حتى وجدت بها حشدًا من الأشخاص .. وقد التفوا جميعًا حول سريره .

حاولت أن تلقى نظرة عليه .. لكنها لم تتمكن بسبب هذا الحشد الملتف حول فراشه .. فانزوت فى أحد أركان الحجرة ، على أمل أن تتاح لها الفرصة لتقترب من سريره وتراه ، بعد أن ينصرف أولئك المحيطون به .

وبينما هى واقفة فى مكانها ، دخل الطبيب المختص ، حيث نظر إلى كل أولئك الذين ازدحمت بهم الحجرة قائلاً :

ـ أرجوكم .. لو سمحتم .. إن هذا يضر بالمريض .. فهو بحاجة إلى الراحة . من فضلكم غادروا الغرفة الآن .

انصاع الموجودون لأوامر الطبيب ، وبدءوا فى

مغادرة الحجرة ، بينما بقيت (رانيا) فى مكانها ، وقد أتيحت لها الفرصة لكى تراه .

كان راقدًا فى فراشه ، وقد التفت الأربطة والضمادات حول كتفه وذراعه ، فى حين ظهرت بعض السحجات والكدمات واضحة على وجهه .

ظل الطبيب واقفًا فى مكانه ، بجوار الفراش الراقد عليه (نبيل) فى انتظار خروج الزائرين .

وكانت هى آخر الموجودين .. فتأهبت لمغادرة الحجرة بدورها .

لكنه لمحها .. فناداها قائلاً :

ـ (رانيا) .

استدارت لتنظر إليه .. لمحت فى عينيه شوق مماثل لشوقها لرؤيته ..

أشار لها قائلاً :

ـ تعالى .

قال له الطبيب معترضًا :

ـ أستاذ (نبيل) .. أنت بحاجة إلى الراحة .. ثم إننى أريد أن أكشف عليك .

لكنه قال له متوسلاً :

ـ أرجوك يا دكتور .. إننى بحاجة لوجود هذه الفتاة أكثر من أى شخص آخر .

قالت له بصوت خافت :

ـ سأعود ريثما ينتهى الطبيب من توقيع الكشف عليك .

لكنه قال لها بلهفة :

ـ كلا .. أرجوك ، انتظرى .

ثم التفت إلى الطبيب قائلا :

ـ أيمكن أن تؤجل الكشف لما بعد ؟ فإننى أخشى لو غادرت الغرفة الآن ، ألا تعود مرة أخرى .

ابتسم الطبيب قائلاً :

ـ يبدو .. أن لها أهمية كبيرة لديك .

نظر إليها بعينين تشعان دفئا قائلا :

ـ أكثر مما تتصور .

قال له الطبيب :

ـ على أية حال .. سأمر عليك بعد نصف ساعة .. لكننى لن أسمح بوجود أحد فى حجرتك بعد ذلك ، حتى أطمئن عليك تمامًا .. مهما كانت أهميته لديك .

غادر الطبيب الحجرة ، فى حين ظلت (رانيا) واقفة فى مكانها ، وقد اعترتها حالة من الارتباك .

بدت وكأنها قد مرت بحالة من اللاوعى ، ثم تنبهت لأمر كان يتعين عليها ألا تفعله .

وتلفتت حولها فى حيرة كما لو كانت تقول لنفسها :

ـ ما الذى أتى بى إلى هنا ؟

بينما ظل (نبيل) يحدق فيها وهو راقد فى فراشه .. ثم سألها قائلاً :

ـ هل ستظلين واقفة مكانك هكذا ؟

اقتربت منه لتقف بجوار فراشه .. وهى ترفع عينيها إليه تارة ، وتخفضهما تارة أخرى .. وقد بدت عاجزة عن الكلام .

قال لها بصوت هامس :

ـ أشكرك .. لأنك كلفت نفسك مشقة الحضور من أجل الاطمئنان علىّ ؟

سألته قائلة بصوت متلعثم :

ـ كيف حالك الآن ؟

قال لها وهو يحاصرها بنظراته :

ـ إننى بخير منذ أن رأيتك .

ـ هل إصابتك خطيرة ؟

ـ الحمد لله .. لقد اقتصر الأمر على خلع بالكتف ،

وكسر بسيط فى عظام الذراع ، وبعض الكدمات والرضوض البسيطة .

ـ لكن الجرائد وصفت إصابتك بأنها كانت خطيرة .

ابتسم قائلاً :

ـ أنت تعرفين أن الجرائد تبالغ فى تصوير الأمور .. وعلى أية حال إننى سعيد بهذا الحادث ، لأنه أتى بك إلى هنا .. ولو كنت أعرف ذلك لتمنيت حدوثه من قبل .

قالت له بتهكم :

ـ هل رؤيتى تهمك إلى هذا الحد ؟

ـ بأكثر مما تتصورين .

ثم أردف قائلاً ، وهو يشير إلى مقعد مجاور :

ـ لماذا لا تجلسى ؟

قالت لـه وقد تغلبت على ارتباكها ، وتعمدت أن تظهر شيئاً من الصلابة :

ـ أشكرك .. إننى مستريحة هكذا .

تأملها قائلاً :

ـ لقد كنت مشتاقاً لرؤيتك .

ـ وما الذى منعك من أن ترانى ؟

أجابها قائلاً ، وقد اعترت وجهه سحابة من الحزن :

ـ لم أكن أستطيع أن أفعل ذلك ، بعد الحديث الذى دار بيننا فى مقابلتنا الأخيرة .

وأطلق زفرة قصيرة قبل أن يردف قائلاً :

ـ وبعد تلك النظرة التى رأيتها فى عينيك وأنت تتحدثين إلى .

قالت له وهى تتحصن بصلابتها المفتعلة ضد التأثر بكلماته :

ـ على أية حال .. كان يتعين علىّ أن آتى لأطمئن عليك .

سألها قائلاً :

ـ لماذا ؟

صمتت برهة وقد فوجئت بسؤاله .. ثم قالت له بارتباك :

ـ لأن .. لأن هذا هو الواجب ـ لقد تعارفنا لفترة من الوقت .. ومن الطبيعى ..

قاطعها قائلاً وهو يلقى برأسه على الوسادة ، ناظراً إلى سقف الحجرة :

ـ من الطبيعى أن تكرهينى .

قالت له وهى تكاد أن تضعف :
- ليس هذا هو وقت الحب ولا الكراهية .
قال لها وهو مستمر فى النظر إلى سقف الحجرة ، دون أن يلتفت إليها :
- إن شخصاً مثلى لا يستحق منك أى قدر من الاهتمام .. بل ربما إصابة كهذه .. تشفى غليلك .. والمفترض أن تأسفى لأن الإصابة لم تكن خطيرة بالقدر الكافى .
- لست ممن يسعدون بآلام الآخرين .
قال لها وهو يستدير على أحد جانبيه لمواجهتها :
- أظن أنه يتعين أن يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لى .. فأنا ذلك الوحش الآدمى ، الذى تسبب فى انتحار صديقتك ، وسعى للتغرير بك .
قالت له بغضب :
- لماذا تقول لى ذلك الآن ؟
قال لها منفعلاً :
- لأننى .. لأننى ..
وأمسك بكتفه متألماً .. فاندفعت نحوه وهى لا تدرى ماذا تفعل قائلة :

- ماذا بك ؟
قال لها وملامحه تنطق بالألم :
- أشعر بألم فظيع فى كتفى .
قالت له مضطربة :
- ربما يتعين عليك أن تظل على الوضع الذى كنت عليه .. وتعتدل على ظهرك .
قال لها وهو يجاهد ليعدل من وضع جسده :
- إن أية حركة بسيطة تؤلمنى .
أمسكت بذراعه وعنقه من الخلف قائلة :
- سأساعدك .. حاول أن تلف معى ببطء .
واستطاعت أن تجعله يرقد على ظهره .. بعد أن اضطرت إلى الجلوس على حافة الفراش .
هدأت ملامحه قليلاً .. فسألته قائلة :
- هل هذا أفضل ؟
أجابها قائلاً :
- نعم أفضل كثيراً .
كانت قريبة منه .. ويدها ملتفة حول عنقه ، بينما يدها الأخرى تمسك بذراعه ، فوضع يده الخالية من الضمادات فوق يدها ، قائلاً بصوت يتدفق دفئاً :

- أشكر لك مساعدتى .
ارتجفت أصابعها ، وأحست باضطراب شديد ، فسارعت بإبعاد يدها عن يده .
قال لها سريعًا :
- أرجوك .. ابقى كما أنت فى مواجهتى ، ولا تضطرينى لأن أرتكز على يسارى لكى أراك ، مع ما يسببه لى ذلك من آلام شديدة .
اضطرت (رانيا) للبقاء جالسة على حافة الفراش فى مواجهته .
بينما أردف قائلاً لها :
- (رانيا) .. إننى أعترف بأننى ارتكبت الكثير من الأخطاء .. وأننى أسأت التصرف معك .. كما أسأت فى حكمى عليك .
لكن مرة أخرى أؤكد لك ، أننى لست بهذه الصورة البشعة التى تظنينها فى - وليتك تصدقيننى هذه المرة .
لقد حاولت كثيرًا أن أشرح لك ، مدى أسفى وندمى على سوء تصرفى معك .. وكنت جادًا فى طلبى الزواج منك - لكنك لم تمنحينى الفرصة ، لكى أقول لك كل ما أردت أن أقوله .

سألته قائلة :
- وماذا عن (سلمية) ؟ ألم تشعر بالأسف والندم عليها هى أيضًا ؟
أدار وجهه إلى الجهة الأخرى قائلاً :
- دعينا لا نتحدث عن هذا الأمر .
ثم التفت إليها وهو يستطرد قائلاً :
- لقد أثبتت لى الأيام الأخيرة مقدار افتقادى لك .. وأنك تختلفين عن الأخريات بالنسبة لى .
نعم .. إن الفترة التى عرفتك فيها ، برغم قصرها إلا أنها أثبتت لى أنك الإنسانة التى أحتاج لوجودها فى حياتى .
قالت له متهكمة :
- لماذا ؟ هل وجدت فىّ ميزة أخرى ، لم تجدها فى غيرى ممن عرفتهن غير العناد ، جعلتك ترغب فى الاستئثار بى ؟
قال لها وعيناه تكادان أن تنطقا بعاطفة صادقة :
- لقد وجدت فيك ما لم أجده فى غيرك بالفعل .. ولكن الأمر هذه المرة لا يتعلق برغبة وقتية .. ولا بمجرد اندفاع عاطفى تحركه مشاعر مليونير

طائش ، اعتاد أن ينال ما يريده . لقد وجدت فيك معانى كثيرة كنت أبحث عنها .. ولم أجدها فى كل من عرفتهن قبلك .. وجدت البراءة .. والثقة .. والإخلاص ، أشياء قد يحتاج المرء لوقت طويل كى يكتشفها .. لكنها يمكن أن تحس فى وقت قصير بالنسبة لرجل أحب .. وأنا أحببتك يا (رانيا) .

قامت من فوق حافة الفراش ، وهى تتأهب لمغادرة الحجرة قائلة له ، وقد تجاهلت ما قاله :

ـ سأرحل الآن ..

قال لها متوسلاً :

ـ ابقى قليلا .

ـ لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك .. ثم لا تنس أن الطبيب سيأتى للكشف عليك .

سألها قائلا :

ـ هل سأراك مرة أخرى ؟

أجابته قائلة :

ـ سأعود اليوم إلى القاهرة .

ـ إذن سأضطر إلى نقل نفسى إلى مستشفى آخر فى القاهرة ، ربما فكرت فى زيارتى دون أن تتحملى مشقة الحضور إلى (الإسكندرية) .

قالت له بنبرة جادة :

ـ أتمنى لك شفاء عاجلاً .

ـ (رانيا) .. سأراك مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

ـ سأحاول .

ـ سأنتظرك .. وأرجو ألا تتأخرى على طويلاً .

غادرت (رانيا) الحجرة ، وقد توقفت أمام بابها المغلق للحظات وهى تغمض عينيها .. كأنها تحاول أن تمحو الصورة التى ارتسمت أمامها منذ قليل ، وهى واقفة أمام ذلك الرجل الراقد على الفراش .. وأن تنكر الكلمات التى سمعتها أذناها منه وكادت أن تصدقها .

لقد رأت أمامها رجلاً أحبته .

رجلا تنجرف مشاعرها إليه برغمها ..

* * *

١٢ ـ لم تكن ملاكًا ..

تكررت زيارتها له فى المستشفى .. وزادتها هذه الزيارات تقاربًا معه دون أن تدرى .

كانت كمن تسير فى اتجاه يخالف إرادتها .. اتجاه حاولت دائمًا أن تقاوم السير فيه .. لكنها كانت أضعف من مقاومته .

ابتسم حين رآها قائلاً :

ـ (رانيا) .. لماذا لم أرك طوال الأيام الماضية ؟

أجابته قائلة :

ـ إن الأمر لم يتعد أربعة أيام فقط .

ـ بالنسبة لى هى فترة طويلة للغاية .

سألته قائلة :

ـ كيف حال إصابتك ؟

حرك ذراعه التى كانت تلفها الضمادات قائلاً :

ـ أفضل بكثير عما كانت عليه من قبل .

ثم همس لها قائلاً :

ـ إننى أشكر لهذه الإصابة أنها جعلتنى أراك .. وأنها جعلت بيننا شيئًا من التقارب .

تجاهلت ما قاله قائلة :

ـ متى ستغادر المستشفى ؟

أجابها قائلاً :

ـ غدًا على الأكثر .

قالت لنفسها وهى تحس بشىء من الضيق :

ـ غدًا .. هل يعنى هذا ، أننى لن أجد المبرر الذى سيجعلنى أراه فيما بعد ؟

لكنه فاجأها بقوله :

ـ لا أظن أن هذا سيحول دون لقائنا فيما بعد .

ودت أن تقول له إن هذا هو ما تتمناه .. لكن لسانها أعجزها عن ذلك .. فوجدت نفسه تقول له :

ـ لا أظن أنه سيوجد ما يدعو لكى نتلاقى بعد ذلك .. ما دمت قد اطمأننت على سلامتك .

ـ إذا كان الأمر يستدعى ارتكاب حادث آخر ، فسوف أفعل لكى لا أحرم من رؤيتك .

قالت له وهى تتخذ مظهرًا جديًا مصطنعًا :

ـ كفاك مزاحًا !

قال لها بصوت دافئ :

ـ إننى لا أمزح يا (رانيا) .. لقد أصبحت شيئًا هامًا فى حياتى لا أستطيع الاستغناء عنه .

اهتزت مشاعرها لكلماته .. لكنها أخفت عليه ما تحسه فى هذه اللحظة .. وأنها هى أيضًا أصبحت تراه شيئًا مهمًا فى حياتها ، يصعب عليها الابتعاد عنه ، قائلة بلهجة مميزة :

ـ ألم نتفق على ألا تكون بيننا مثل هذه الكلمات ؟

ـ يصعب علىّ أن أخفى مشاعرى نحوك .

نهضت قائلة :

ـ أظن أنه يتعين على أن أرحل .

سألها قائلاً :

ـ لماذا تهربين منى كلما أردت أن أفتح طريقًا يوصلنى إليك .

قالت له وهى تتظاهر بالصلابة :

ـ إنك تستخدم كلمات فى غير مواضعها .. فما الذى يدعونى للهرب منك ؟

لقد كنت مريضًا .. وكان الواجب يحتم علىّ أن أزورك وأطمئن عليك ، خلال فترة وجودك فى المستشفى .

أما الآن .. وقد شفيت وأصبحت مهيئًا لمغادرة المستشفى .. فقد انتهى الأمر .

قال لها وهو يرمقها بنظرة ثاقبة :

ـ بمثل هذه السهولة ؟

قالت له وهى تتجه نحو الباب :

ـ وداعًا يا أستاذ (نبيل) .

لكنه غادر فراشه ولحق بها قبل أن تغادر الحجرة قائلاً لها :

ـ أتهربين منى أم من نفسك ؟

نظرت إليه بدهشة مصطنعة قائلة :

ـ لا أظن أنه يوجد ما يدعو للهرب .

قال لها بإصرار :

ـ بل يوجد .. يوجد إحساس بداخلك تحاولين إنكاره .. ومشاعر تحاولين إخفاءها ليس عنى فقط ، ولكن عن نفسك أيضًا .

لا تظنى أننى أجهل ما يعتمل فى نفسك ، أو أنك تستطيعين اخفاءه عنى .. فأنا أراه بوضوح .

إن كلا منا يحب الآخر .. لكنك تعاندين .

ارتبكت للحظة ، وقد أحست بأنه استطاع أن يعرى مشاعرها تمامًا .

لكنها قاومت ارتباكها قائلة له بعصبية :
ـ من فضلك .. دعني أذهب .
قال لها :
ـ سأدعك تذهبين .. لكننا سنتقابل مرة أخرى .. أرجوك إذا كان ما قلته قد ضايقك ، فانسيه ، لكن لا تدعي كبرياءك يقسو على قلبينا .
سألته قائلة وكأنها تتوسل إليه أن يرحم ضعف مشاعرها :
ـ ماذا تريد مني ؟
قال لها بصوت هامس :
ـ أريد أن تكوني زوجتي .
أشاحت بوجهها عنه قائلة :
ـ هذا مستحيل .
سألها قائلاً :
ـ لماذا هو مستحيل ؟
نظرت إليه وفي عينيها نظرة اتهام صارخ قائلة :
ـ أنت تعرف لماذا ؟
ـ لقد ظننت أنك صفحت عني .
ـ أستطيع أن أصفح فيما يتعلق بي .. لكنني

لا أستطيع أن أصفح عما فعلته بصديقتي .. إن (سامية) ستقف دائمًا بيني وبينك .
قال لها بانفعال :
ـ لماذا تصرين على أنني مسئول عن موتها ؟
ـ لأنك المسئول الحقيقي بالفعل عن انتحارها .. كيف تطالبني أن أنسى أنك كنت السبب في موت أعز صديقة لي ، بعد أن جرحت مشاعرها بقسوة وحطمت حبها لك ؟
وكيف تطالبني الآن أن أتجاوز عن ذلك ، وأن أخون صداقتي لها أيضًا بارتباطي بك ؟
قال لها محتدًا :
ـ أنت مخطئة تمامًا في الصورة التي رسمتها لـ(سامية) .. وإذا كان هناك من يستحق أن يوصف بالخيانة فهي صديقتك .
قالت له بانفعال ، وهي ترفع أصبعها في وجهه :
ـ إياك أن تتحدث عنها هكذا .
قال لها وفي عينيه نظرة غاضبة :
ـ إياك أنت أن تظني أن صديقتك كانت ملاكًا ، كما تصورتها ، أو كما حاولت هي أن تصور نفسها لك .

- لقد كانت كذلك بالفعل .

صاح فيها قائلاً :

- كلا .. لقد كانت صديقتك خائنة .. أتفهمين معنى هذه الكلمة ؟

كانت خائنة .

احتدت قائلة :

- أنت كاذب .

ازداد انفعاله قائلاً :

- بل هذه هى الحقيقة .. لم أشأ أن أبوح لك بها ، بعد أن عرفت صلة الصداقة القوية التى كانت تربط بينكما .. ومدى تقديرك واعتزازك لها .. لم أرد أن أشوه الصورة الجميلة التى رسمتها لك فى خيالك .

فضلت أن تظلى محتفظة بهذه الصورة فى وجدانك بعد رحيلها ، عن أن أدافع عن نفسى أمامك .

نظرت إليه بتساؤل قائلة :

- ماذا تعنى بذلك ؟

قال لها وهو يتهالك على مقعد مجاور لفراشه :

- لقد كنت أبحث دائما عن الفتاة التى تحبنى لنفسى .. والتى يمكن أن أثق بصدق حبها ومشاعرها

نحوى ، فتاة لا ترى فىّ فقط الشخص الثرى الذى يمتلك العديد من مظاهر الإغراء المادية ، التى تدفعها إلى السعى وراء الزواج منه ، أو على الأقل مصاحبته .

كنت أتمنى أن ألتقى بفتاة تحبنى لشخصى .. لا لأموالى أو لمظهرى الخارجى .

فتاة يمكن أن تهز مشاعرى وتحرك وجدانى .

لكنى فشلت فى العثور على هذه الفتاة .

فكل واحدة التقيت بها أو عرفتها .. لم تكن ترى فىّ سوى صورة الشاب الثرى الوسيم فقط .

وكل واحدة كانت مستعدة لأن تبذل الكثير ، وأن تقدم الكثير من أجل الاستحواذ علىّ ، دون أن تحمل لى مشاعر حب حقيقية ومخلصة .

لذا فقدتُ الثقة بكل الفتيات اللاتى عرفتهنّ .. وأصبحت أجاريهن فى لعبتهن ، دون أن أسمح لواحدة أن تستأثر بى .

ومن هنا تعددت علاقاتى .. ونالت سمعتى المعروفة كدون جوان كما تعرفين .

إلى أن التقيت بـ (سامية) .. فى البداية لم أر فيها سوى صورة الفتاة الفائقة الجمال .. التى يمكن أن تكون صديقة مناسبة بالنسبة لى .

لكنها أقنعتنى بأنها يمكن أن تكون بالنسبة لى أكثر من ذلك ، وأوهمتنى بأنها تحبنى .. وأنا أيضًا وجدت نفسى أحبها .. وظننت أننى قد عثرت على الفتاة التى أتمناها .. والتى تمتلك كل الصفات التى كنت أبحث عنها .. الحب والصدق والإخلاص .

تمت الخطبة بيننا سريعًا .. ثم اتفقنا على الزواج .

لكن لم يمرّ وقت طويل على خطبتنا .. حتى تبينت أننى كنت واهمًا فيما تصورته ، وأن الفتاة التى أحببتها .. ووثقت بها .. كانت على علاقة أخرى بأحد أصدقائى .. فى نفس الوقت الذى كانت تردد فيه على سمعى كلمات الحب والوفاء .

* * *

١٤ - الصورة الحقيقية ..

صمت برهة حتى هدأت انفعالاته ، ثم أضاف قائلاً :

- ولا تسألينى كيف سمح لها ضميرها ، بأن تكون على علاقة بشخص آخر وهى مرتبطة بى ، وكيف استطاعت أن تخدعنى على هذا النحو ؟ وما الذى كانت تريده ، أكثر مما أعطيتها من مشاعر الحب والاستقرار والآمان المادى ، وكل ما أرادته ؟

لكن من المؤكد أنها لم تكن تختلف عن الكثيرات من مثيلاتها .

وعندما تكشفت لى الحقيقة .. وواجهتها بها ، أنكرت فى البداية .. ثم اعترفت ، وتظاهرت بالندم .. ولجأت إلى عدد من التبريرات الواهنة لتبرر بها خيانتها .

كان من المحتم أن ينتهى بنا الأمر إلى هذا الحد ، وأن أفسخ خطبتنا ، بعد أن تكشفت لى خيانتها .

وظنت أن الشخص الآخر سيفتح لها صدره ،

ويتلقفها بين ذراعيه ، ويكافئها على خيانتها لى ، لكنه لم يكن يقل خسة ونذالة عنها .. فتنكر لها .. وصدها بعنف .. وأنهى علاقته بها حينما طالبته بالزواج .. والارتباط البديل عن ارتباطها السابق بى .

فعادت لى مرة أخرى منكسرة ذليلة ، تطلب الصفح .. وترجونى أن نعود لارتباطنا مرة أخرى وننسى ما حدث .

لكن لم يكن من الممكن أن أصفح وأن أنسى .. كما كان من المستحيل أن نعود إلى بعضنا مرة أخرى .

لقد انقضى حبى لها بعد خيانتها لى .. كما تجدد فقدانى للثقة بأى فتاة عرفتها .

بعدها علمت أنها قد انتحرت .. وبالطبع لم أكن المسئول الحقيقى عن انتحارها .. بل خيانتها ـ إحساسها بالذنب والضياع . وتخلى الشخص الذى خانت حبى لها من أجله عنها .. كانت كل هذه الأشياء هى المحصلة النهائية التى دفعتها إلى الانتحار ، ولم أكن أنا .

نظرت إليه (رانيا) وهى لا تصدق ما سمعته .. قائلة :

ـ أنت تكذب .

قال لها بهدوء :

ـ يمكنك أن تتأكدى مما قلته لك .. اسم الشخص الذى عرفته (سامية) فى أثناء ارتباطى بها (أسامة الأيوبى) .. ويمكننى أن أعطيك عنوانه لتعرفى كل شىء بنفسك .

قالت له وهى تهز رأسها بعنف ، وكأنها لا تريد أن تصدق :

ـ لا بد أنك تكذب .. لا يمكن أن تكون هذه هى الحقيقة .

قال لها بهدوء :

ـ آسف إذا كنت قد شوهت الصورة الجميلة التى عرفتها عن صديقتك لم أكن أرغب فى ذلك .. لكنك اضطررتينى لأن أوضح لك حقيقة الأمر .

لقد قبلت أن أكون متهمًا ، فى عيون الكثير من الناس الذين ظنوا أنها انتحرت لأننى تخليت عنها .. حتى لا أسىء إلى صورتها فى أعين الآخرين .

لكنى لم أستطع أن أبقى متهمًا فى نظرك .

واقترب منها ليلامس كتفها قائلاً :

ـ شخص مثلى كان من الصعب عليه أن يثق بأية

فتاة أخرى ، وعندما حاولت إقامة علاقة عاطفة عابرة معك .. كان هذا استمرارًا لرأيى فى نوع العلاقات ، التى تصلح إقامتها مع الفتيات .. ورفضى لأى مشاعر أخرى عدا هذا .

لكنك كنت مختلفة .. مختلفة فى كل شىء .. فى تصرفاتك ، وفى وفائك لصديقتك .. وفى احترامك لذاتك .

وكنت الوحيدة التى أعادت لى الثقة بالحب وبتلك المشاعر التى انتزعتها من حياتى .

أبعدت يده عن كتفها ، وسارعت بمغادرة الحجرة ، وهى فى صراع ما بين الرفض والقبول لما سمعته .

كشفت الأيام التالية لـ (رانيا) عن صدق ما قاله لها (نبيل) .

وعن حقيقة علاقتها بذلك الشخص الآخر .. وخداعها لخطيبها طوال فترة ارتباطها بخطبته .

تلك العلاقة التى أخفتها عنها ، ولم تحاول أن تطلعها عليها ، برغم الصلة القوية التى كانت تربطها بها .

لقد ظلت حريصة على أن تبدو أمامها فى صورة ملائكية مزيفة ، واستمرت (رانيا) تصدق أنها الفتاة الرومانسية الرقيقة الحساسة التى عرفتها ، دون أن تتخيل أن هذه الصورة طرأ عليها الكثير من التغيير .

حتى وهى مقبلة على الانتحار .. لم تحاول أن توضح الحقيقة فى الخطاب الذى أرسلته إليها .. وأصرت على أن تبدو فى نظرها فى صورة الضحية .. فكان ما كتبته مبهمًا وغير محدد .. يوحى لمن يقرؤه بأنها الفتاة التى ضحت بحياتها ، نتيجة غدر الإنسان الذى أحبته ، وتخليه عنها .. وتحطيمه لحياتها .

ولم تخبرها بأنها هى التى حطمت حياتها بيدها .. حينما ارتضت لنفسها الخيانة والغدر .. وعدم الإخلاص .

إنها الآن تدرك أكثر من أى وقت .. أنها كانت مخطئة فى كل الاتهامات التى اتهمت بها (نبيل) .. والتى باعدت بينهما .

كما أصبحت تدرك أنها أحبته بقدر ما ظلمته .

وأن هذا الحب هو الحقيقة الواضحة أمام عينيها الآن .

* * *

كان (نبيل) جالسًا مع بعض الأشخاص ، يراجع مشروع مدينة المسنين ، الذى وضع حجر الأساس له .. وقد بدأ مستغرقًا تمامًا فى مراجعة خطوات العمل ، الذى سيبدأ تنفيذه خلال الأيام القادمة ، حينما دخلت عليه مكتبه .

وما إن رآها ، حتى اعتذر للموجودين ، طالبًا تأجيل الاجتماع لمدة نصف ساعة ريثما ينتهى من استقبالها .

قالت له معتذرة ، وهى تتأمله بعينين جديدتين .

- آسفة .. إذا كنت قد عطلتك .

قال لها وهو يدعوها للجلوس :

- لا عليك .. كنت قد انتهيت تقريبًا .

سألته قائلة :

- هل هذا هو المشروع الذى كنت تتحدث عنه ، ليلة الحفل ، عن مدينة المسنين ؟

قال لها بنبرة ساخرة :

- نعم .. المشروع الدعائى .

قالت له وهى تضع يدها فوق يده التى ارتكزت على المكتب :

- (نبيل) .. أرجوك اغفر لى أية إساءة قدمتها إليك .

سألها قائلاً :

- بشأن المشروع الدعائى ؟ أم بشأن مسئوليتى عن وفاة صديقتك ؟

- بشأن كل الأخطاء التى ارتكبتها فى حقك .. لقد كنت مخطئة فى كل ظنونى .

- أتعنين أنك اكتشفت الحقيقة بنفسك ؟

- وقد جئت اليوم لكى أعتذر لك .. وأرجو أن تسامحنى .

تناول يدها بين يديه قائلاً :

- الشىء الوحيد الذى يجعلنى أسامحك ، هو أن تتزوجينى ، فهل أنت موافقة على ذلك ؟

قالت له وقد أسلمت يدها بين يديه :

- ألا تمنح نفسك فرصة للتفكير ؟

- لقد فكرت كثيرًا .. ولست مستعدًا لإضاعة الوقت أكثر من ذلك .. (رانيا) لن أخبرك بشىء جديد ، عندما أقول لك إننى أحبك ، وأثق فى حقيقة مشاعرى

نحوك ، كما أثق بأنك تبادلينني نفس المشاعر وبنفس القوة .

وبعد أن عرفت حقيقة الأمر بالنسبة لـ (سامية) .. فلا أظن أنه أصبح هناك عائق يحول دون ارتباطنـا .. إلا إذا كان تقديرى غير صحيح أو مازالت هناك بعض الرواسب فى نفسك نحوى .

قالت له وهى تتأمل عينيه الدافئتين :

ـ أظن أنه لم يعد هناك مجال للإنكار .. ولا بـد أن أعترف لك بأننى أيضًا أحبك .

تهلل وجهه بالفرحة قائلاً :

ـ إذن سآتى إلى القاهرة غدًا .. لأطلب يدك من والدك .

ثم استطرد قائلاً ، وكأنه يحادث نفسه :

ـ غدًا .. ولِمَ غدًا ؟ سأذهب إلى القاهرة اليوم .

وإذا وافق سنعقد قراننا الخميس بعد القادم .

فماذا قلت ؟

ابتسمت قائلة :

ـ بهذه السرعة ؟

سألها قائلاً :

ـ ولِمَ الانتظار ؟

أرخت أهدابها قائلة :

ـ سيكون هذا هو أسعد يوم فى حياتى .

* * *

(تمت بحمد الله)

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

المؤلف

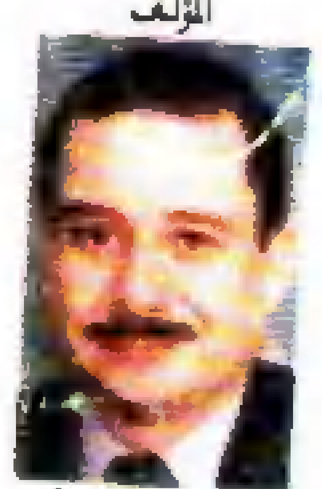

ا . شريف شوقى

71

رجل أحببته

كان متهماً فى عينيها .. وتمنت أن توقع به القصاص العادل الذى يستحقه .. لكنها وجدت نفسها وقد انساقت إلى حبه .. وكان عليها أن تحسم الصراع الدائر فى نفسها ، بين المجرم الذى كرهته .. والرجل الذى أحبته .

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم